...ين عمر حمادة

مَخطوطَاتُ البَحرِ الميِّتُ

قصة اللفائف الكتانية والنحاسية التوراتية
في كهوف قمران وعين الفشخة
وأودية المربعات والدالية

التوراة السامرية
التوراة الهيروغليفية
التوراة السبعينية
توراة القرائين
الأسفار الخفية

دار منارات للنشر

Hamadah, Hasayn Umar.

حسين عمر حمادة

مَخطوطَاتُ البَحرُ الميِّتُ

قصّة اللّفائف الكتّانيّة والنحاسيّة التوراتيّة
في كهوف قمران وعين الفشخة
وأودية المربعات والدالية

التوراة السامرية
التوراة الهيروغليفية
التوراة السبعينية
توراة القرائين
الاسفار الخفية

دار منارات للنشر

الاهــــداء

الى يوحنــا المعمـــدان وورقـــة بن نـــوفل

يوحنا الذي بكت اليهود ، وندد بهم ، وضرب بكهنتهـــم بسبب عنصريتهم ورذائلهم وآثامهم ورجاستهم وخروجهـــم على الشرائع الانسانية ، لانهم الافاعي أولاد الافاعي • الذيـــن صحت فيهم آية عيسى المسيح القائلـــة : لاتـــرموا بدرركـــم للخنازير لئلا تدوسها بأقدامها ثم ترتد اليكم فتمزقكم •

يوحنا الذي قال : التطهير بالاستحمام لايمحو الذنوب ، انما يجب تطهير القلب والنفس من الداخل •

والى ورقة بن نوفل النصراني ابن عم خديجة الذي قال لزوجها النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

ياليتني فيها جذعا • ليتني أكون حيا ، اذ يخرجك قومك لانه لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي • وان يدركني يومك أنصرك نصر امؤزرا •

حسين

دمشق الشام

٢٠ كانون أول ١٩٨٢ م

الاربعاء ٢٥ ربيع أول ١٤٠٢ هـ

الفصل الأول

عنزة التعامرة

والطريق إلى اللفائف الجلدية والنحاسية

رويت عن واقعة اكتشاف مخطوطات البحر الميت قصص عديدة داخلتهـــا الشوائب والاضـــافات التزيينية والتشويقية لكثرة المؤلفات والمصنفات والمناقشات والمراجعات والردود التي كتبت عنها حتى بلغ عددها أكثر من ـ ٣٠٠٠ ـ ثلاثة آلاف دراسة • ونشرت باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانيـــة وغيرها • والثابت فيها جميعا أن بدوا من عرب التعامرة الجوالة ما بين بيت لحم والبحر الميت ، منذ عام ١٩٤٧ ، عثروا علـــى لفائف اسطوانية كتانية ونحاسية فيهـــا كتابات يجهلون محتواها ، علما بأن الذهب هو ما يســـعى اليه البدو وليست لفائف النحاس القديمة أو الكتان المهترئة ، التي قيد لها أن تضم اسفارا كشفت ما استغلق مضمونه وتاريخه على العلماء

سنوات عديدة بشأن أصول الكتابات التوراتية والمسيحية ، التي فاقت بقيمتها المادية والادبية والتاريخية الذهب المبذول لاقتنائها • لتثري المكتبة الانسانية بصفحات فكرية شرحت وفسرت كثيرا من العقائد والعادات والتقاليد لطائفة خاصة •

فقد نشرت صحيفة التايمس اللندنية بتاريخ ٩ ــ ٨ ــ ١٩٤٩ القصة الصحيحة التي رواها الراعيان المنتميان الى عشيرة التعامرة العربية ومختصرها :

« أن الراعي الاصغر سنا « محمد الذيب » فقد احدى رؤوس الماعز التي كان يرعاها عند تلال الشاطىء الشمالي الغربي للبحر الميت في صيف ١٩٤٧ ، وبينما كان الراعي يبحث عن العنزة في جوانب الاودية الوعرة – وهي بالنسبة له ثروة يجب الحرص عليها ـ شاهد منفرجا مستديرا في الصخر • وحب الاستطلاع في هذا المنفرج العمودي في وجه الصخر على مستوى النظر ، دفعه أن يطيل النظر وقاده الى رؤية مغارة في الداخل • وهكذا التقط حجرا ورماه ، ولشد ما كانت دهشته وخوفه عندما سمع ارتطام الحجر بشيء ما في الداخل وتكسر ذلك الشيء • وسرعان ما غادر المكان ، لكي يعود بعد يوم أويومين مع رفيقه الى جانب المغارة يغالبهما خوف من المجهول ، وولجا الى الداخل من خلال شق ضيق في الصخر ، وجدا على جانبيه بعض الجرار المستطيلة ، أربع في جانب وخمس على الجانب الاخر • كما شاهدا أقداحا من الفخار مثبتة فوق رقاب الجرار لتغطيتها : التي تحطم احداها بفعل الحجر الذي رماه محمد الذيب • وعندما تفحصا الجرار لاحظا انها فارغة ما عدا واحدة منها • كانت تحتوي ثلاث لفائف من الجلد العتيق عليها كتابة

ما • والواقع انهما شعرا بخيبة أمل • لان الجرار لم تكن مليئة بالذهب ، ولكنهما مع ذلك حشرا اللفائف الجلدية بينملابسهما وغادرا المغارة • وقد وصف أحدهما كيف امتدت اللفيفة الكبرى عندما بسطاها من طرف خيمتهم الى طرفها الاخر • ونستدل من الوصف ، أن اللفيفة هي مخطوطة سفر أشعيا المشهورة ، التي يلغ طولها حوالي سبعة أمتار (١) •

ولان الشيخ في البلدة أولى الناس بالاطلاع عليها برأي البدويين ، فقد ذهبا الى شيخ مسلم في سوق بيت لحم ، وحالما تيقن ان الكتابة التي يراها غير عربية وظن انها سريانية أشار عليهما بمراجعة التاجر «خليل اسكندر شاهين» من سريان بيت لحم ويدعى « كندو » ، الذي اتصل بدوره بالتاجر السرياني « جورج شعيا » المقيم في القدس • فبادر شعيا باعلام المطران « اثناسيوس يشوعا صموئيل » في دير مار مرقس للسريان الارثوذكس الواقع في قلب القدس القديمة في الجنوب من الشارع الذي نستطيع ان نصل اليه من سوق الحصر في نهاية سويقة علون ، وفيه مكتبة للمخطوطات السريانية القديمة • وادرك المطران ان الكتابة عبرية وليست سريانية • ولدى فصل قطعة من الملف واحراقها ظهر من رائحتها انها مصنوعة من جلد حيوان ، عندها اشترى المخطوطات الخمسة ودفع ثمنها ، ويبدو ان بدويا ثالثا اصر على اعطاء ملفاته للشيخ المسلم التي اهملها لتصبح في عهدة الدكتور سوكينك مدير الجامعة العبرية • (٢) وليس مآل مخطوطات المطران صموئيل أحسن حالا ، فقد هربها خلسة ليصل بها الى الولايات المتحدة الاميركية عارضا اياها بطريقة سهلت لسلطات الاستيطان

الصهيوني الاستيلاء عليها بأسعار ارضت جيوب المطران التاجر صموئيل ، ولكنها أفقدت المعاهد العلمية العربية ومتاحفها مادة اثرية ، هي احق بدراستها والاحتفاظ بها ٠

وقد تبين ان اثنين من هذه الملفات الخمسة يشكلان جزأين من ملف واحد أطلق عليه اسم كتاب النظام (٣)
Manual of Discipline
وتؤلف الملفات الثلاثة الاخرى بمجموعها سفر اشعيا (٤) مع تعليق وتفسير لسفر حبقوق (٥) ٠ ومخطوطا مهلهلا كتب بالارامية اتضح انه سفر لامك المفقود (٦) ٠

مواقع كهوف المخطوطات ومغائر اللفائف الاسطوانية :

تعد المنطقة الغورية قرب البحر الميت اقليما حارا بسبب انخفاضها عن مستوى سطح البحر ، ولما كانت تلك الرقوق مكنوزة في المغاور الصخرية وقد ختم عليها ، فان الفساد لم يتطرق اليها كلها ، فبقيت بحالة حسنة الى ان عثر عليها لاول مرة منذ اكثر من ١١ قرنا ، وثانيا في سنة ١٩٤٧ ٠ وليس الموقع الجغرافي الحار هو السبب في اختيار هذا المكان لاختزان الرقوق في منطقة قمران (٧) ٠ بل هناك سبب اخر ٠ وهو ان فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة ، وكانت لها طقوس دينية خاصة تميزها عن فرقتي اليهود الكبيرتين: الفريسيين(٨) والصدوقيين (٩) ٠ وعلى هاتين الفرقتين حمل السيد المسيح في دعوته٠ واسم هذه الفرقة هو: الاسينيون أو المغتسلون(١٠) وكان لهم نظام خاص يقوم على مبادىء جماعية (١١) ٠

وقد كشف حتى الان عن احد عشر كهفا وجدت فيها كميات متفاوتة الكمية والقيمة من المخطوطات ٠ وكل الكهوف تقع في

سفوح التلال المكشوفة على الشواطىء الشمالية الغربية للبحر الميت في فلسطين• وبعضها كهوف طبيعية فيالصخر، والبعض الاخر منحوت صناعيا في طبقات الرمل الرخوة (١٢) •

وقد رقم العلماء هذه الكهوف تسهيلا لتعيينها • فالكهفان الاولوالثاني يقعان بينوادي الدبابير ووادي غوفات زبين (١٣)

بعد ذلك وفي كانون الثاني - يناير ١٩٤٩ ، استطاعت ثلة من رجال الجيش العربي أن تبحث في منطقة تنقيبات الكهف الاول • وقد سارع لانكستر هاردنج بتنظيم حملة صغيرة منهومن الابديفو R. de Vaux مدير مدرسة التوراة والاثار الفلسطينية في القدس وعامل من عمان واثنين من متحف الاثار الفلسطيني ، نزلت في موقع الكهف الاول وتمكنت منالحصول على الكثير من جذاذات المخطوطات ، وعلى كمية كبيرة من الجرار الفخارية تعود الى ما قبل العهد الروماني ، اي حوالي القرن الاول ق•م لان أكثر الجرار على شكل اسطوانات كبيرة تغطي فتحاتها الاقداح ، بالاضافة الى اجزاء من سراجين رومانيين • وكان يعتقد في ذلك الوقت أن هذا الكهف لا مثيل له ، ولن يكون هناك اكتشاف اخر يماثله •

واثبت فحص الموقع القديم الوحيد فيتلك الناحية انالقطع تعود للعهد الروماني • ولما لم يكن هناك اي موقع اثري اخر • فقد عقد العزم عام ١٩٥٠ على القيام بحفريات تجريبية هناك واختيرت لاجراء التجربة ثلاث غرف في الزاوية الجنوبية الغربية من البناء الرئيسي • وقد عثر عند مستوى أرضية احدى الغرف على جرة تماثل الجرار التي عثر عليها في الكهف والى جانبها قطعة نقود تعود الى سنة ١٠ ب•م وفي نفس

الوقت عثر على كثيرمن الاسرجة والاواني ذات الطراز الروماني وهذا يعني وجود علاقة مباشرة بين هذه المكتشفات والكهف · مما يمهد للوصول الى تاريخ دقيق (١٤) ·

تواريخ اكتشافات الكهوف الاحد عشـــر ومحتوياتها :

وادي المربعات :

اقتصرت الحملة الاولى سنة ١٩٤٩ على جمع مـــا بعثره عربان التعامرة في الكهف الاول عندما اكتشفوه سنة ١٩٤٧ · وفي هذه المدة عرف الرعاة أهمية اكتشافهم فجعلوا من التنقيب مهنتهم لانها تدر عليهم عوائد عالية مجزية ·

وقد حالفهم النجاح عندما عثروا اوائل سنة ١٩٥١ علـــى كمية من الجلود وأوراق البردي المكتوبة بحروف مختلفة في بعض كهوف المربعات على مسافة ١٨ كم من الكهف الاول · وتبين أن هذه المخطوطات ترجع الى سبعين سنة من تاريـــخ مخطوطات الكهف الاول ، تضمنت تفاصيل ثورة اليهود الثانية على الرومان سنة ١٣٢ ــ ١٣٥ م · (١٥)

وفي هذه الاثناء نشط الاثري لانكستر هاردنج Harding Lankester الذي قضى عشرين عاما في الاردن مسؤولا عن دائرة اثارها في التنقيب عن المخطوطات ، وكانت له أدوار مشبوهة سواء في عملية الاحتفاظ بها او محاولة تسريبها للخارج سنأتي عليها تفصيلا في ثنايا الكتاب · وعن مكتشفات موقع المربعات يرى هاردنج أن المنطقة التي يتجول فيها التعامرة، برية صخرية مهجورة موحشة وجرداء يعسر جدا على اي انسان لا يعرفهـــا

معرفة حسنة أن يسلك سبيله فيها دون أن يستعين بأحد البدو دليلا له • وأكثر أولئك البدو كانوا رعاة في صغرهم ويذكــرون كثيرا من الكهوف والمغاور التي كانوا يأوون اليها • ومعهم في قمران بحثنا في سلسلة من الكهوف عددها سبعة وثلاثـــون كهفا في واجهة الشقيف • (١٦)

وعملية التنقيب والحفريات والبحث في هـــذه الكهوف جميعها لايعني بالضرورة اختزانها للعاديات والمخطوطات • بل ان موجودات كهف ما قد تمتاز عن سواه بمضموناتها الادبيـــة وقيمتها الاثرية والتاريخية •

الكهف الثاني والفتائت المنثورة :

وفي سنة ١٩٥٢ اكتشف التعامرة الكهف الثاني فوجدوا فيه ١٨٧ جذاذة أكثرها صغير، وبعضها من أسفار التوراة (١٧) ولحقهم العلماء اليه فلم يجدوا سوى فتائت منثورة من نوع ما وجد في الكهف الاول • (١٨)

الكهف الثالث والملف النحاسي :

عثر التعامرة في الكهف الثالث في عين الفشخة على بعد كيلومترين من خربة قمران سنة ١٩٥٢، على الملف النحاسي (١٩)

وهذا الكشف جاء نتيجة تمشيط العلمـــــاء جميع صخور المنطقة المطلة على البحر في جبهة طولها ثمانيـــة كيلومترات امتدت من رأس الفشخة في الجنوب ، حتى حجر السباع فـــي الشمال • واسفر الجهد المضني عن كشف عشرين كهفا قديمـــا مشحونة بالخزف خالية من المخطوطات ولم يوفق العلماء الا

الى كهف واحد في أقصى الشمال أعطي الرقم الثالث (٢٠)

ويرى هاردنج ان الموجودات كانت تتألف من ملفين نحاسيين ، نقشت بالمطارق على جانبيهما الخارجيين ، علامات واضحة لاشكال مربعة (٢١) • وأول مخطوط من النحاس كتب في ثلاث صفحات طول كل منها ٨٠ سم وعرضها ٣٠ سم وسماكتها ١ سم • وقد ربطت الصفحات الثلاث ووضعت في طاقة بسقف الكهف • الى ان سقطت على الارض فانكسرت الى قطعتين منفصلتين • وقد تأثر الملف كثيرا بأملاح النحاس وأصبح هشا سهل الكسر • وقد نجح البروفسور رايت بيكر المسؤول الفني بجامعة مانشستر ببريطانيا بفتح الملف وتقطيعه بحيث اصبحت قراءته ممكنة • « راجع مخطوطات البحر الميت ص ١٥٠ ـ ١٥١ » •

جاء في العمود الاول وفي السطر ٦ ــ ٨ أنه يوجد في الصهريج الكبير في وسط الدار الخارجية ٩٠٠ مثقال من الذهب ، ويوجد في الصهريج عند أسفل الحصن ، في الجهة الشرقية ، في مكان محفور في الصخر ٦٠٠ سبيكة من الفضة: ويوجد تحت زاوية الرقوق الجنوبية آنية بخور من خشب الصنوبر ، وآنية بخور من خشب الاكاسيا ، ولو أحصينا جميع كميات الذهب والفضة الواردة في هذين الملفين النحاسيين لبلغت مائتي طن (٢٢)

ويشك العلماء في صحة المعلومات بل لقد أخفوها حينا من الزمن خشية حدوث فوضى في منطقة التنقيبات من قبل هواة البحث عن كنوز الذهب والفضة الخرافية •

الكهف الرابع من الحجل حتى النمل الابيض والجرذان :

اذا كانت عنزة محمد الذيب قد سهلت اكتشـــاف الكهف الاول ومخطوطاته ، فان مطاردة أحد شيوخ التعـامرة لحجل جريح فر من امامه واختفى فجأة في ثقب من الصخر لايبعد كثيرا عن قمران ، حركت شهية التعامرة لمزيد من الارباح التي درتها عليهم تجارتهم الجديدة في بيع موجودات الكهوف ٠

ومما قاله الشيخ : انه تتبع الحجل فوجد بعد جهد جهيد ان الثقب مدخل لكهف قديم ٠ فالتقط الحجل وحمل معه سراجا قديما مصنوعا من الخزف ٠

تلقى شبان التعامرة هذا الحديث بلهفة وشوق زائدين وانتبهوا بدقة للاماكن التي أشار اليها الشيخ في حديثه ، ثم تحركوا آخذين معهم كيسا من القنب وحبالا ومشاعل قاصدين قمران ٠ وما ان وصلوا الى الهدف حتى تدلوا بالحبال ودخلوا الكهف وبداوا يحفرون ارضه ٠ وما ان أزاحوا عدة أمتار مكعبة من التراب الذي تراكم في ارض الكهف حتى عثروا على ألوف من فتائت المخطوطات (٢٣) ٠

وقد تحقق الاكتشاف الهام هذا على أيدي التعامرة خريف ١٩٥٢ ٠ وموجودات الكهف الذي رقم بالرابع هامة وغنيـــة هاجمها النمل الابيض والجرذان ٠ لان أصحابها لم يحفظوها مع انها كانت جذاذات متفرقة ، اثرت عليها الرطوبة والامـــلاح في جرار ، وانما القوهـا فوق أرض الكهف الرطبـــة (٢٤) ٠ فاهترأ قسم منها وأمحى قسم اخر (٢٥) ٠ ولم يكـن الكهف الرابع يبعد عن قمران اكثر من مائة متر ٠ لذلك فقد شـــــعر

هاردنج وعماله بالهوان لانهم قضوا هناك ثلاثة أسابيع كاملة خلال فصل الربيع دون أن يخطر على بال أحدهم ، وجود ذلك الكهف (٢٦) ٠

والكهف الرابع كان أغنى الكهوف بالجذاذات التي جمع الالاف منها عرب التعامرة ٠ كما كان بينها ٣٣٢ وثيقة طائفية تبين عند جمعها الى اجزاء انها تكون كتابا يرجع عهده الى ٣٢٥ ـ ٢٠٠ ق٠م وتبين ايضا أن موجودات الكهف الرابع تقدر بستين مخطوطة ، ويصل عددها مع محتويات المغاير المجاورة الى مئتي مخطوطة على أقل تقدير هي :

ـ نسخة كاملة من سفر اشعيا كتبت سنة ١٠٠ ق٠م ٠ علما بأن أقدم سفر لاشعيا متوفر لدينا يعود لسنة ٨٢٧ م ٠

ـ اعمدة من سفر صموئيل تعود الى ٣٢٥ ق٠م

ـ الاف الجذاذات من أسفار العهد القديم ، كتبت بالارامية ساعدت على معرفة المعاني الغامضة في الترجمة اليونانية ٠

ـ قطع من المزامير ودانيال وارميا وتعليقات على المزامير واشعيا وكتب بعض الانبياء الصغار وبعض الترانيم المشابهة لمزامير الشكر ٠ ومقتطفات من كتاب النظام شبيهة بالذي باعه المطران صموئيل من الكهف الاول ، مع نص يشبه كتاب حرب أبناء النور مع ابناء الظلام مع اختلاف بينه وبين ما وجد في الكهف اذا قورن بما هو موجود في التوراة الحالية ٠

وسفر توبيت Tobit وهو أحد كتب الابوكريف (٢٧) كتب بالارامية والعبرية ، وقطع تشبه الوثيقة الدمشقية وكتاب البطارقة الاثني عشر ، وسفر ناحوم ٠

والخلاصة اننا نستطيع ان نجمع توراة كاملة من مخلفات هذه الكهوف باستثناء سفر استير · وميزتها أنها أقدم من النصوص التي بين ايدينا بألف سنة (٢٨) ·

من كهف الحجل حتى الكهف العاشر

في الثاني والعشرين من ايلول — ديسمبر ١٩٥٢ زار العالمان دي فو وميليك كهف الحجل السابق ذكره وأطلقا عليه رقم أربعة · وعمل العالمان في ارضه زهاء أسبوع بالتعاون مع مديرية الاثار والمتحف الفلسطيني ، فعثروا على بضع مئات من الفتائت ثم أدى التفتيش في الصخور المجاورة الى الكشف عن كهف جديد دعي الكهف الخامس (٢٩) · وجد فيه ١٢ مخطوطة جديدة ، كما وجد في الكهف السادس بعض الجذاذات ·

واستمر التعامرة في عملهم حتى سنة ١٩٥٥ عندما أصبحوا يقودون العلماء في التنقيب · فدخلوا الكهف السابع والثامن والتاسع · وكانت أكثر موجوداتها على ورق البردي ، وليست من التوراة · ولم يجدوا في الكهف العاشر في الصخور المطلة على خربة قمران سوى بعض الجذاذات التي تحمل بعض الحروف مع شقف من الفخار (٣٠) ·

ويبدو أن فضل التعامرة سيظل مرتبطا بالكشف عن موجودات الكهوف الهامة · ذلك أن العلماء الباحثين المنقبين في ربيع ١٩٥٥ بعد اكتشاف الكهف السادس لم يجدوا في الكهوف الاربعة التالية من السابع حتى العاشر سوى بعض فتات من الخزف تحمل بعض الاسماء ، ونزر يسير من فتائت المخطوطات (٣١) ·

الكهف الحادي عشر على ربوة مرتفعة :

وفي سنة ١٩٥٦ اكتشف التعامرة الكهف الحادي عشر في اقصى الشمال ، على ربوة ترتفع خمسين قدما · قد تهدم مدخله بحيث لم يبق منه الا نقب صغير لم يستلفت النظر في حملة ١٩٥٢ فأهمل · وقد وازى في أهميته الكهفين الاول والرابع، لانهم أخرجوا منه جزءا من سفر اللاويين وسفر المزامير والترجوم اي الترجمة الارامية لسفر ايوب ، وكتابا فيه رؤيا أورشليم الجديدة، والوصايا العشر تعد أقدم واكمل ما عرف اذ تعود للقرن الاول ق·م · وكتاب المزامير وجد كاملا في حالة جيدة وهو يزيد مزمورا واحدا عن المئة وخمسين مزمورا المعروفة · ونص المزمور الزائد : (أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لانقذ شعبي) وجميع هذه الكتب مخطوطة بالحرف العبري المربع على جلود الماعز ، وبحبر مأخوذ من احتراق عظام الحيوانات · طول الرق الذي كتبت عليه المزامير أربعة أمتار وعرضه سبعة وعشرون سنتميترا ·

كتب في القرن الاول بعد الميلاد ويحتوي على ٣٦ مزمورا من العهد القديم · بما في ذلك المزمور ١٥١ الذي لا يوجد مثله الا في الترجمة السبعينية (٣٢) كما يوجد في الملف سبع قطع غير معروفة ، تمثل كتاب المزامير الذي كان يستعمله القمرانيون (٣٣) ·

ومنذ كانون الاول ـ يناير ١٩٥١ حيث جرت التجربة الاولى للحفريات في قمران وحتى نهاية ١٩٥٦ ، استمرت الحفريات لمدة ثلاثة اشهر من كل عام (٣٤) خلال خمسة مواسم للتنقيب على الشكل التالي :

اولا ـ ٢٤ نوفمبر / تشرين ثان ـ ١٢ ديسمبر / كانون اول ١٩٥١

ثانيا ـ ٥ فبراير / شباط ـ ٢٤ ابريل ـ نيسان ١٩٥٣

ثالثا ـ ١٣ فبراير ـ شباط ـ ٢٤ ابريل / نيسان١٩٥٤

رابعا ـ ٢ فبراير / شباط ـ ٩ ابريل / نيسان ١٩٥٥

خامسا ـ ١٨ فبراير / شباط ـ ٢٨ اذار / مارس ١٩٥٦ (٣٥) ٠

كهوف المربعات :

ولم ينفرد وادي قمران بالكهوف التاريخية ، فقد عثر العلماء على عدد منها في وادي المربعات يقع على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا جنوب القدس ، وعلى بعد خمسة عشر كيلو مترا جنوب غرب خربة قمران وواديها ٠ وهو ينفتح على وادي التعامرة ، وينفذ معها الى البحر في مضيق من الصخر كوادي قمران ووادي النار ٠ وكان التعامرة قد حملوا الى المؤسسات العلمية في بيت المقدس ، في صيف ١٩٥١، شيئا منمخطوطات أحد كهوف وادي المربعات (٣٦) ٠

وفي ٢١ كانون الثاني / يناير ١٩٥٢ سافرت حملة استكشافية مؤلفة من مدير الاثار السيد هاردنغ والاب ديفو مدير المعهد الفرنسي وخبير حفريات ، يرافقهم ضابط شرطة من بيت لحم وجنديان ودليلان من عرب التعامرة ٠ وتوجهت الى المكان الذي اعتاد التعامرة احضار المخطوطات منه ، ولما وصلوا الى المرتفع الذي يعلو ٢٥٠ مترا عن الوادي السحيق تحته ، شاهدوا عدة كهوف تستحق البحث والتنقيب ٠

وفي شهر شباط ١٩٥٢ ، ألف مدير الاثار حملة بمساعدة مدرسة التوراة الفرنسية Ecole Biblique والمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس للبحث في المربعات • وبدأت عملها في الكهف الاول الذي وجدت في مدخله بئرا يدل اتساعها على عدد سكان المنطقة ومدة سكناهم • وكان عمق الكهف نحو ٥٠ مترا • وقد عبثت الايدي بمحتوياته مرات عديدة • ومع ذلك جمعت منه قطع فخارية تعود لعصور مختلفة • تبدأ من العصر النحاسي ٤٥٠٠ ق•م الى العصر العربي في القرن الثامن بعد الميلاد •

والكهف الثاني في المربعات وجد فيه ختم وجعل من عصر الرعاة الهكسوس مع جذاذات من الجلد وورق البردي كتبت عليه نصوص من أسفار عاموس وموزيه وميخا واشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد • ولا يسبقه الا ما حفر على الحجر أو على الاجر أو على الفخار بلغات المنطقة القديمة ، أو ما كتب على أوراق البردي المصرية •

ومن أهم الحقائق التي كشفتها الحملة التي استمرت ستة أسابيع ان كهوف المربعات كانت آهلة بالسكان منذ خمسة الاف سنة • وفي القرن الثاني قبل الميلاد اتخذتها عصابات الثورة اليهودية الثانية مركزا ضد الرومان سنة ١٣٢ ــ ١٣٥ م •

بدلالة ما وجد من المخطوطات باللغات الارامية والنبطية واليونانية والعبرية • وفي النصوص يرد ذكر اسم قائد الثورة سمعان بن الكوكب أوباركوكبا • وكان خصومه يلقبونه أحيانا (سمعان بن كذبة) (باركوزبا) وقد اخمد الرومان ثورته بالعنف •

ومن النصوص التي وجدت في المربعات ، كتابات عربية من القرن العاشر كتبت على القباطي المصنوع من ورق القطن. وميزة مخطوطات المربعات أن تاريخها وأصحابها مذكورون فيها ومعروفون جيدا ، بعكس مخطوطات قمران التي لم يذكر لهـا تاريخ ولم يرد فيها أسماء أصحابها (٣٧) .

ومعظم آثار المربعات الخطية وجدت في كهفها الثاني . وقد سلمت بعض هذه الاثار ، ولكن معظمها عبثت بـه حيوانات الكهف ولا سيما جرذانه . وامست أعمال الكشف في دور من أدوارها تفتيشا وتنقيبا عن وكور الجرذان لاستعادة ما نقلتـه اليها من أجزاء المخطوطات التي بطنت وكورها به .

ونصوص الاسفار التي وجدت في المربعات جميعهـا مسورة (٣٨) Massoretic أي مضبوطة بالشكل العبـري المعروف (٣٩) .

كهف خربة المرد :

وفي صيف ١٩٥٢ سبق التعامرة العلماء الى خربة المرد (٤٠) أيضا . وقد عثروا على اجزاء من مخطوطات بكهف يبعد مائة متر عن الكهف الاول . وعلى مسافة أكبر نحو الجنوب أخرجوا من كهف آخر جرة فخارية كاملة مع غطائها ، تبين أنها من أثار خربة المرد Marda وشكل البلجيكيان فيليب ليبنس Lippens وديلانج Dalanghe بعثة علمية سافرت في شباط ١٩٥٣ الى خربة المرد ، وهي خرائب دير بيزنطي يبعد خمسة كيلو مترات الى الشمال الشرقي من دير مارسابا . وقد وجدت البعثة فيها :

ـ أجزاء من سفر يشوع وانجيلي لوقا ومتى ، وسفر من اعمال الرسل ورسالة بولس الى اهل كلوسي ، كتبت بالارامية الدارجة بفلسطين ايام المسيح ، وأجزاء من نبوءات الانبياء الصغار ، كتبت باليونانية ، وقطعة ادبية وحجاب ومعاملة استرداد ملك بيع باللغة النبطية ، وقطعة من عمود من سفر حبقوق باليونانية ، وقطع من سفر التكوين والعدد والمزامير وكلمة سليمان كتبت بعد القرنين الخامس والثامن بعد الميلاد، ورسالة موجهة الى سمعان بن كذبة ، ومستندان بالارامية ، ووثيقتان باليونانية من العصر الذي كانت فيه البلاد تسمى بالولاية العربية ، ورسائل عربية من القرن العاشر على ورق عادي (٤١) ٠

مخطوطات وادي الدالية :

توجه عربان التعامرة اواخر سنة ١٩٦٢ من أريحا شمالا مسافة ثلاثين كيلو مترا حتى وصلوا خربة فصايل ، قبل سرايا الجفتلك ٠ وصعدوا في تلك الوديان ، وتخللوا شعابها حتى وصلوا الى وادي الدالية ٠ فدخلوا حتى عثروا في احدها على مخطوط وعاديات أخرى محفوظة في المتحف الفلسطيني بالقدس ، واستعانت المدرسة الاميركية بالقدس بالدكتور فرانك كروس ، الذي درسها ونشر عنها تقريرا أوليا ، اشار فيه الى ان الكتابة الارامية المدونة على ورق البردي من القرن الرابع قبل الميلاد ٠ وهي الاولى من نوعها في البلاد وتؤرخ لحقبة غامضة ، وتظهر على نقوشها اشخاص ملامحهم وملابسهم اغريقية وفارسية ٠ وقد أصبح كراوس أعلم بتاريخ السامريين القدماء من بقاياهم الذين لا يزالون احياء ٠

وقد نشرت مجلة التايم Time الاميركية في عددها الصادر في أول نيسان ١٩٦٦ ، مقالة جاء فيها : أنه في سنة ٣٣٢ ق٠م ثار السامريون على حكم الاسكندر الكبير واحرقوا قائد جيوشه اندروماخس ، ولذلك ارسلت فرقة من الجيش المكدوني للثأر ففتحت السامرة (سبسطية) ٠ وأرسلت شراذم تطارد الهاربين من السامريين ٠ حاصرت ثلاث مئة منهم كانوا يجتمعون في كهوف وادي الدالية بين اريحا وعقربا شرقا ٠ وقد اشعلت النار في مدخل الكهف فاختنق السامريون في داخله ٠ وبقيت رممهم ثلاثة وعشرين قرنا ملقاة في ابعد زاوية من الكهف ، مغطاة بالغبار وأقذار الخفافيش حتى وصل اليها أواخر سنة ١٩٦٢ ، بعض العربان الذين كانوا ينقبون ويبحثون عن عاديات يستطيعون بيعها ٠ ونقبوا في الغبار والانقاض حتى وجدوا بعض الحلي والفخار وأوراق البردي التي كتبت على بعضها سندات تملك وعقود زواج ٠ وخلافا لما ورد في سفر الملوك الثاني الذي يتهم السامريين بأنهم ابتعدوا عن العقيدة اليهودية ، بتأثير الفتح الاشوري حوالي ٧٠٠ ق٠م ٠ فان الوثائق أظهرت تمسكهم بعقيدتهم ايام الاسكندر ٠ وهذا يوحي بأن الانشقاق اليهودي السامري حصل في القرن الاول الميلادي برأي كراوس ٠

وقد برهن عقد الزواج على ان السامريين كانوا يتزاوجون مع الاغريق بلا موانع ٠ وانهم اصطبغوا بالحضارة الهيلانية قبل فتح الاسكندر ٠ ومن مخلفاتهم ظهر ان أعدادا من اكابرهم واثريائهم لبسوا الخواتم واستعملوا الاختام التي صورت عليها آلهات الاغريق الجميلات وهن عاريات ٠ وهكذا فان هذا

الاكتشاف يتحدى ماورد في التوراة عن السامريين بأنهم كانوا شعبا منحطا متخلفا • بل ظهروا كالسامري الطيب الذي مدحه المسيح أكثر من الذين حذر تلاميذه من دخول مدنهم النجسة •

وفي هذه الايام لايزيد عدد السامريين على مئات الافراد الذين يجتمعون في كل عام ليقيموا طقوسهم على جبل جرزيم فوق نابلس • ولازالوا على اعتقادهم بأنهم اصحاب العقيدة الصحيحة ويبتهلون الى اللـــــه ان يرسل مسيحهم (مهديهم) الذي ينتظرونه ليعيد الحق ويقيم العدل الى الابد (٤٢) •

الصور الجوية والمداخل الرئيسية الثلاثة :

طراز السكن والمعاش والعلاقات الاجتماعية والعقيديـــة في كهوف ومغاور وخرائب قمران تبدي لنا نموذجا طريفا من السلوك الانساني ، يستحق التأمل والدراسة المستأنية بهدف الوصول الى احكام قريبة من الدقة التاريخية ان تيسر ذلك على ضوء المكتشفات والتنقيبات والحفريات التـي اكب علـى دراستها باصرار علماء الاثار المتخصصون في الفخـــاريات والخزفيات والخطوط واللغات والنقود والنسيج مستخدمـين أرقى الاجهزة التقنية والادوات العلمية التي مولتها ووفرتهـا جامعات ومعاهد علمية أوربية وأميركية عريقة فـي نشاطاتها العلمية في بلادها ، والتبشيرية المغرضة في بلادنا •

وخرائب قمران ليست خرائب قرية فلسطينية تتألف مـن عدد كبير او قليل من المساكن العائلية والابنية العموميـــة والاسواق والباحات والازقة • وانما هي بقايا مؤسسة جماعية لها شبكة مياه متعددة الفروع لتأمين المياه لعدد كبير من الافراد

في وقت واحد . فهنالك الخزانات والصهاريج والاقنية والاحواض والاجران المختلفة ، مربوطة ببعضها ومعدة لعمل مشترك . وهناك المشاغل لصنع واعداد مايلزم لجماعة من الناس منكفئة على نفسها منعزلة عن الغير . وهناك الفواخير ومصانع تطريق النحاس والحدادة ، ومطاحن وافران ومخازن للاعاشة ، والمغاسل والمطبخ وغرفة الطعام المشتركة . وغرفة الكتابة وقاعات الاجتماع ، وفي المقبرة مايؤيد هذه الحياة الاخوية المشتركة . ففيها مايدل على اتباع خطة معينة في التكفين والتوجيه والدفن (٤٣) .

الصور الجوية وتفاصيل تضاريس قمران :

فصل لانكستر هاردنج في كتابه « آثار الاردن » تضاريس قمران الطبيعية ومواقع واثار الكهوف التي وجدت فيها المخطوطات فذكر انه :

يمكن ان نشاهد من الصور الجوية ، ثلاثة مداخل رئيسية للاثار القائمة حاليا : الاول الى الشمال من البرج . والثاني في الجدار الشرقي الطويل . والثالث في الزاوية الجنوبية الغربية . وكان هنالك ايضا باب في الجدار الجنوبي للغرفة الطويلة في الجهة الجنوبية ، ولكن هذا الباب اغلق في المرحلة الاخيرة . وكان للرومان باب في محاذاة الزاوية الشمالية الشرقية للبرج . وباب اخر الى جانب البئر ذات الشقوق .

يدخل المرء من الباب القائم في الجهة الشمالية الغربية من البرج ، فيجد نفسه في ساحة سماوية ، ومن هناك يلج

بابا الى اليمين يؤدي الى ساحة أكثر اتساعا ، ويسير منحرفا عبر هاتين الساحتين مصرف الماء الرئيسي المغطى بألواح الحجر والذي يصب في الوادي الصغير الى الشمال • وهناك بئر ذات درج وراء هاتين الساحتين الى الغرب ، والى جانب البئر تبدو مجموعة من بوابات السدود لتنظيم جريان الماء في القناة • وتمتد امام البئر فسحة سماوية واسعة يبدو انها كانت تستعمل لترسيب الطين الممتزج بالماء قبل ان يجري في القناة الرئيسية الى جميع الابار الاخرى • واذا عدنا الى الدرج • نرى بقايا بوابة أخرى تؤدي جنوبا الى ساحة سماوية مستطيلة • وهنا نرى أن البناية الرئيسية تقع الى الشرق بينما تقع حجرات السكن الاضافية الى الغرب ، ويوجد هنا بابان في جدار البناء الرئيسي ، يستطيع المرء منها أن يدخل الى جوانب مختلفة منه : فيؤدي الشمالي منها الى الجانب الاوسط بينما يؤدي الجنوبي الى مجموعة من الغرف يبدو انها كانت ذات أهمية خاصة • ويؤدي الباب الجنوبي الى ممر توجد في طرفه الجنوبي درجات ترتقي الى الطابق الاول ، ولقد كان هذا الجانب من البناء على الاقل يتألف من طابقين ، كما أن بعض اجزاء جناح السكن كانت كذلك • وفي الجانب الشرقي هناك حجرة ضيقة مستطيلة عثر في داخلها على كمية كبيرة من اللبن المقصور بالجبس ، صنع على هيئة غريبة • فالجانب العلوي منبسط والطرفان منحنيان وضيقان عند القاعدة • وهناك أيضا بقايا مقعد واطئ • وبجمع القطع المتناثرة صغيرها وكبيرها بعناية وضمها الى بعضها بعضا في متحف القدس ، تبين انها كانت على هيئة طاولة مستطيلة ، وراء دكة مستطيلة واطئة • وعثر على محبرتين بين هذا الركام احداهما من البرونز

والثانية من الفخار • وكانت محبرة البرونز ماتزال تحتوي على كمية من الحبر الجاف • ومن هذا يبدو ان هذه الحجرة كانت تستعمل مكتبا يجلس الناسخون فيه لنسخ المخطوطات •

يعتقد ان الحجرة الواقعة جنوبي الممر كانت تستعمل للاجتماعات • اذ توجد هناك دكة واطئة • كما أن الارضية مقصورة بالجبس مثل الدكة •

ويلاصق جانب الباب من الداخل ، الى اليسار محراب مقصور وحوض في الجدار مع قناة صغيرة مقصورة تمتد خلال الجدار حتى الممر • حيث يمكن بواسطة هذه القناة تزويد الحوض بالماء دون ان يستطيع اي شخص من الخارج اعاقة اي عمل يجري في الداخل • وهناك ثلاثة محاريب مربعة في الجدار الجنوبي من المحتمل أنها كانت تستعمل خزائن • اما الحجرتان الواقعتان الى الجنوب فلا يعلم لاي غرض كانتا تستعملان • كما أن الحجرة القائمة الى الغرب أنشئت في وقت متأخر لان جدرانها غير ملتحمة مع الجدران الرئيسية • ويمكن ان نرى في الطرف الجنوبي للساحة التي تفصل البنائين ، بقايا التنور الكبير الذي كان يستعمل للخبز • ونرى خلفه من الجانب الاخر من قناة الماء ، الارضية المرصوفة بالحجارة حيث تقوم الطاحونة • أما الطاحونة نفسها فمصنوعة من الحجر الناري الاسود وتوجد خارج البناء الى الجنوب • وعلى مقربة منها تقع اكبر ابار قمران • مع مجموعة من الادراج المنحدرة اليها ، وحوض لتصفية الماء الى جانبها ، وهناك بئر اخرى الى الشرق مباشرة تنحدر اليها بواسطة درج ولكنها تقسم الى قسمين بواسطة جدار في منتصفها • وتسير قناة الماء مع الجانب

الشمالي للبئر · وبمتابعة مجراها يمكن الدخول الى الجناح الشرقي من البناء · وهنا تقع أيضا بئر أخرى ذات درج وتظهر فيها بوضوح نتائج زلزال سنة ٣١ ق·م · وترى الى الشرق من البئر ذات الدرج حماما او حجرة غسيل ، وبقايا أتون لصنع الفخار · لتنحني قناة الماء حول الطرف الشرقي للبئر وتمضي شرقا كي تتصل ببئرين صغيرتين ، وأخيرا تنتهي القناة عند البئر الكبيرة ذات الدرج في الزاوية الجنوبية الشرقية · وتوجد خارج منطقة البناء حفرة وحوض مقصور قليل العمق كان يستعمل لتهيئة الطين من اجل صنع الفخار حيث ينقل الماء اليه من القناة الرئيسية · ويقوم قريبا من الجدار الشرقي الخارجي تنوران للفخار · وهناك جدار يمتد من البئر الكبيرة جنوبا مع حافة الارض المرتفعة حتى منحدر وادي قمران · فيشكل خطا دفاعيا آخر ، وتتألف المنطقة المفتوحة هنا من ركام اصطناعي يبلغ عمقه ٤ اقدام في بعض الجوانب · وقد عثر على جرار فخارية عديدة مدفونة هناك وهي تحتوي على بقايا الولائم الدينية ·

وأوسع الحجرات في قمران ، يحتمل أنها كانت تستعمل للصلاة او لعقد الاجتماعات · وعثر في القسم الجنوبي منها على مخزن عظيم من الفخار يحتوي على اكثر من الف وعاء بين جرة وصحن وقدح وباطية ·

يشمل جناح السكن الغربي ثلاث ابار أخرى ، احداها مستديرة · والبئران الاخريان مستطيلتان كالمعتاد ولهما درج· وفي الحجرة المجاورة للبئر المستديرة من الشمال · بقايا مستودعين من الطين ، من المحتمل انهما كانا يستعملان لخزن الحبوب ·

والقاعة الشمالية تؤلف ثلاث غرف ٠ والقاعة الغربية لا باب لها يمكن للمرء أن يدخل منه ٠ بل توجد فتحتان صغيرتان في الحائط الذي أنشىء على غير ترتيب بخليط من الحجارة والاجر الترابي ٠ وفي هذه القاعة تم العثور على مجموعة من النقود ٠

وكان البرج يتألف من طابقين : الاول بدون أبواب أو نوافذ في الجدار الخارجي ٠ والثاني لم يبق منه سوى بقايا رسوم ٠ وهناك غرفة صغيرة غريبة الشكل في الزاوية الجنوبية الغربية ، ينتصب في وسطها عمود مفرد ، ربما للدعامة مع درج حلزوني من الخشب ، كواسطة اتصال بالطابق الارضي ٠ وقد أصيب البرج بخراب كبير نتيجة للزلزال ٠

ان نوعية البناء ضعيفة جدا على العموم ٠ ومهما تكن طبقة الناس الذين كانوا يقيمون فيه ٠ فلا بد أنهم كانوا يضمون فيما بينهم معماريين وبنائين ٠

ومن العسير على الباحث أن يصف المراحل التي مر بها البناء لكثرة ما أصابه من تغيير وتبديل في مختلف فترات الاقامة فيه ٠ كما أن الفخار لايساعد كثيرا في تصنيف المراحل اذ أن طراز صنعه لم يشهد تطورا يذكر طوال الفترة التي كان البناء فيها مأهولا بالسكان ٠

يقع الكهف الرابع في تلعة من الارض قريبا من غربي قمران ٠ وقد نحتت بعض الدرجات الغشيمة لتسهيل الوصول الى الكهف ٠ وهذه الدرجات تقود الى ثقوب كانت في الاصل مداخل الى مجموعة الكهوف ٠ وقد ملئت هذه الحفرة بالانقاض

مع مرور الزمن فلم ينتبه اليها البدو • وبعـد تنظيفها وجدت قطع كثيرة من المخطوطات بين الركام •

أما الكهوف الاخرى فتقع كلها في الواجهة الصخرية الى الغرب • وعلى مسافة من قمران • ويستحيل العثور عليهـا دون دليل •

وقد كشفت الحفريات التي أجريت في عين الفشخة ذاتها بناء كبيرا • وتدل الاواني الفخارية وقطع النقود والموجودات الاخرى التي عثر عليها هناك ، على أن البناء أنشىء في وقت معاصر لانشاء قمران • وان محتوياتها تماثل ما اكتشف فـي قمران ، مما يؤكد أنها كانت مزرعة لسكان قمران الذين كانوا يزرعون أشجار البلح قريبا من ضيعتهم • وتقع مقبرة قمران الرئيسية على الارض المنبسطة وفي التلاع الى الشرق منها• وفيما مايزيد على الف قبر • وأكثر القبور تواجـه الشـمال والجنوب • وبعضها يواجه الشرق والغرب • تتألف القبور من حفرة طولها متران وعرضها نصف متر وعمقها متران • ولم يكن يدفن مع الجثمان اي شيء فيما عدا بعض قبـور النساء والاطفال جنوبي وادي قمران ، حيث وجدت بعض حبات مـن الخرز • كما عثر على بقايا تابوتين من الخشب في اثنـين من القبور (٤٤) •

وهذا الوصف التفصيلي لعمران قمران وطبيعة الحيـاة المعاشية فيها ، تمهد لنا الارضيـة التي ستكشف عن عقائد وعادات الجماعة التي عاشت في المنطقة من خلال المخطوطات التي كتبوها ودونوها وحفظوها بالكتـان والنحاس من عبث الخارجين على عقائدهم أو من عوادي الزمان التي يمكن ان تؤثر على رقائقها ومدادها •

مناهل وهوامش الفصل الاول

(١) لانكستر هاردنج : آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى المطبعة الوطنية ، عمان • الطبعة الثانية ١٩٧١ ، ص ٢٢٩ •

(٢) ميللر بروز : مخطوطات البحر الميت ، ترجمة محمود العابدي ، المطابع التعاونية ، عمان ١٩٦٧ ، ص ٥٥ ـــ ٥٦ •

(٣) كتاب النظام : المخطوط لا يمثل معتقدات اتباع العقيدة اليهودية من الربانيين بل بطائفة منهم • ويبدو ان كتاب النظام متعلق بطائفة منظمة على غرار انظمة الرهبان المتنسكين الذين ظهروا في المسيحية • (راجع مخطوطات البحر الميت ص ٧٨)

(٤) سفر اشعيا : يشعيا أو اشعيا بن أموص ، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد • وقضى معظم حياته ابان حكم الملك حزقيا • ويعتبر سفره السفر الاول للاسفار الثلاثة لكبار انبياء اتباع العقيدة اليهودية • وهو يقع في ستة وستين اصحاحا • ولو ان اصحاحاته من اربعين حتى النهاية تنسب لنبي اخر • والاصحاحات من واحد الى تسعة وثلاثين تعرف باسم اشعيا الاول • ويرد هذا السفر في النص الماسوري في راس اسفار الانبياء المتأخرين بخلاف الترتيب الوارد في الترجمة السبعينية التي تقدم الانبياء الاثني عشر على الانبياء الثلاثة العظام •

واشعيا بن اموص عاش فيما يرجح في أورشليم وربما كان مدرسا للفلسفة · وقد التف حوله التلاميذ · ويعتقد بعض الباحثين انه كان طبيبا او موظفا في المعبد · وكان يرتدي زي الانبياء كذلك امرأته · وولد له ابنان · ويمتاز عصر اشعيا بكثير من الاحداث السياسية الكبرى · فقد ظهرت في عهده على المسرح السياسي الدولة الاشورية · واندلعت نيران الحرب السريانية الافريمية لضم مملكة يهوذا الى حلف ضد اشور · وتم حصار سنحريب الاشوري لاورشليم عام ٧٠١ م · والسفر الحقيقي لاشعيا عبارة عن الجزء الوارد في الاصحاحات : ١ – ٣٥ وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام يمتاز المتوسط من الاصحاحات ١٣ – ٢٣ بكثرة ورود عبارات تتصل بالقدر · وقد تناولت الايات كثيرا من البلاد خاصة بابل ومواب وصور ودمشق ومصر وبلاد العرب وغيرها من البلاد الاجنبية مثل الحبشة · فهذه المجموعة تكون فيما بينها كتيبا خاصا بالنبوءات المتعلقة بالشعوب الاجنبية · (راجع التوراة الهيروغليفية ص٨٧ – ٩١)

(٥) سفر حبقوق : هناك صلة بين سفر النبي حبقوق وسفر النبي ناحوم · ويرجح أن اسمه آشوري ، يطلق عادة على أحد نباتات الحدائق · ويمتاز حبقوق على الانبياء الاخرين انه كان يدون مايراه · اما سفره فعبارة عن قسمين –

القسم الاول : ويعني بالحديث عن الملحدين والمؤمنين ويلوح من هذه العبارات أن النبي استهدف الحديث عن الشعوب الاجنبية والسياسية الخارجية ·

اما القسم الثاني : فيبدأ بالصلاة على النبي • وهو في الاصل رؤيا تعبر عن انشودة النصر •

فتصور يهوه صورة اسطورية وقد هاجم الملحدين وشتت شملهم •

(٦) لامك : النص يضم آيات من سفر التكوين ، أعيدت كتابتها باللغة الارامية التي كان اتباع العقيدة اليهودية يتكلمونها عند ظهور المسيح • وينص المخطوط الذي فتح عام ١٩٥٢ ان لامك تأثر عندما سمع اباه أخنوخ ينذر ابناء زمانه باقتراب يوم الدين ، ونهاية العالم • وعندما ايقن أن الله سيهلك العالم الفاجر ، وسيأتي بخلق جديد • سجل كل هذه النذر والتحذيرات في سفره •

(٧) قمران وعين الفشخة : تقع قمران الى الجنوب من مصب وادي دبر • على بعد ٣٨ كم من القدس و ٢٠ كم عن اريحا • وعين الفشخة تقع الى الشمال من البحر الميت • وهي من مواقع عرب ابن عبيد • (راجع : بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ ج ٨ ق ٢ ص ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٥) •

(٨) الفريسيون Pharisien : أو البروشيم أي الانفصاليون أو المتعزلون كما سماهم الصدوقيون • وقد عرفهم يوسيفوس على انهم شيعة من اتباع العقيدة اليهودية ، يجهرون بأنهم أكثر استمساكا بالدين من سائر أبناء ملتهم ، وبأنهم أدق من غيرهم في تفسير شرائعهم • وهم يعترفون بجميع

التلمودية من المشنا والجمارا · ويطلق عليهم كذلك اسم الربانيين · وتذكر الاناجيل انهم كانوا ألد أعداء المسيح عيسى ابن مريم · وكانوا على رأس المتآمرين عليه لانه كشف كفرهم ونفاقهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاما فاسدة غير مقبولة · وبولس الرسول كان من فرقة الفريسيين قبل أن يشرق عليه الايمان المسيحي ·

(راجع : قصة الحضارة لـ ول ديورانت ج ٣ ، م ٣ ، القسم ١١ ، ص ١٧٣ والاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٥٥ ، وبروتوكولات حكماء صهيون عجاج نويهض مجلد ٢ ج ٣ ـ ٤ ص ١٣٥) ·

(٩) **الصدوقيون Saduceens** : تنتسب الى رائدها صدوق ظهرت في عهد المكابيين وكان لها ممثلون في السنهدرين · وينكر منتسبوها البعث والنشور لاعتقادهم بأن عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم · وهم يقتصرون من التوراة على أسفار موسى الخمسة وهم في هذه الناحية يقفون مع السامريين بعدم قبولهم من التوراة الا الاسفار الخمسة فحسب ومن الصدوقيين بعد تسعة قرون تقريبا ، نبتت فرقة القرائين في بغداد وهؤلاء لايقبلون شريعة التلمود وملتزمون بقدسية السبت ·

(راجع الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ٥٧ وبروتوكولات حكمـاء صهيون م٢ ، ج٣ ـ ٤ ، ص ١٣٤ ، والعرب واليهود في التاريخ ج ٢ ، ص ٧٥٦) ·

(١٦) آثار الاردن : ص ٢٣١ ٠

(١٧) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٧ ٠

(١٨) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٧ ٠

(١٩) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٧ ٠

(٢٠) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٨ ٠

(٢١) آثار الاردن : ص ٢٣٢ ٠

(٢٢) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٨ ٠

(٢٣) المرجع السابق : ص ٨ ــ ٩ ٠

(٢٤) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٨ ٠

(٢٥) المرجع السابق ذكره : ص ١٣٣ ٠

(٢٦) آثار الاردن : ص ٢٣٢ ٠

(٢٧) الابوكريفا : يطلق هذا الاسم على مجموعة الاسفار والرسائل الملحقة بالعهد القديم ٠ وهي متنوعة المواضيع ، مختلفة العصور ٠ وقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في ٨ نيسان عام ١٥٤٦ بها وجعلتها كالاسفار المقدسة ٠ وفي أوائل القرن الثاني الميلادي وقف أحبار أتباع العقيدة اليهودية موقفا عدائيا من الابوكريفا ، حتى أن ربي عقيبة قال في التلمود البابلي ما معناه : لا مكان في العالم الاخر لمن يقرا الابوكريفا٠

(راجع التوراة الهيروغليفية : ص ١٩٢ ــ ١٩٣) ٠

(٢٨) مخطوطات البحر الميت : ص ١٣٦ ٠

(٢٩) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٩ ٠

(٣٠) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٨ ــ ١٠٩ ٠

(٣١) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ١٠ ٠

(٣٢) الترجمة السبعينية : استقدم بطليموس الثاني فيلادلف ملك مصر ٢٨٥ ــ ٢٤٧ ق٠م اثنين وسبعين عالما من اتباع العقيدة اليهودية ، وأمرهم بترجمة العهد القديم الى اليونانية ٠ وقد اشتملت على اسفار وفصول خلا منها النص العبري كأسفار المكابيين وسفر طوبيا وغيرها ، وبعض فصول وزيادات أضيفت الى سفري استيرو دانيال ٠ وكانت اليونانية اللغة العالمية في ذلك العصر ٠ وهذه الترجمة هي التي كانت شائعة زمن المسيح ٠

(راجع بروتوكولات حكماء صهيون ٠ المجلد الثاني ٠ الجزء ٣ ــ ٤ ، ص ٢٤ ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ؟ لمحمود نعناعة ٠ ص ١٥٢) ٠

(٣٣) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٩ ٠

(٣٤) آثار الاردن : ص ٢٣٢ ٠

(٣٥) مخطوطات البحر الميت : ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ٠

(٣٦) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ١٠ ٠

(٣٧) مخطوطات البحر الميت : ص ١١١ ــ ١١٤ ٠

(٣٨) النصوص المسورة Massorstic ٠ نصوص الاسفار المسورة اي المضبوطة بالشكل العبري المعروف والمتفق عليه

(١٠) الاسينيون : فرقة من اتباع العقيدة اليهودية مع اختلاف جوهري في عقائدها وتقاليدها عن الفرق الاخرى ·

اقام افرادها قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور ، واتخذوا نظاما نسكيا خاصا بهم ، شديد الدقة ، يقوم على التقشف والمشاعية لتحريمهم الملكية الفردية · وهناك مصادر تعتبرهم

من الحسديين Hasidim اي المشفقين ·

(راجع : العرب واليهود في التاريخ ج ٢ ، ص ٧١٠ · والاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ٥٨) ·

(١١) عجاج نويهض : بروتوكولات حكماء صهيون · منشورات فلسطين المحتلة · بيروت الطبعة الثانية · المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٤٥ · وفي زمن هارون الرشيد عثر عربي في الغور قرب اريحا على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على اسفار العهد القديم ايضا · ويظهر ان تلك الطوامير انتهت الى احبار اليهودية ·

(١٢) ليونارد كوتريل : الموسوعة الاثرية العالمية · الهيئة المصرية العامة للكتاب · القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ·

(١٣) اسد رستم : مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران منشورات مجلة المسرة ، حريصا ، ١٩٥٩ ، ص ٦ ·

(١٤) آثار الاردن : ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ·

(١٥) مخطوطات البحر الميت : ص ١٠٧ ·

والمعمول به منذ السـنة ١٣٢ ميلاديـة ٠ أي النص العبري المعتمد ٠ (راجع : الموسوعة الاثرية العالمية لليونارد كوتريل ص ٢٥٩ ، ومخطوطات البحر الميت وجماعة قمران لاسد رستم ص ١٣) ٠

(٣٩) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ١٢ـــ١٣

(٤٠) خربة المرد : مردة بالارامية هي القسطل ، والقلعة باليونانية ، تقع الى الشمال الشرقي من دير سابا ، ترتفـع ٢٤٨ مترا عن سطح البحر الابيض المتوسط ٠ أقام الرومان على بقعة المرد قلعة سموها Hyrcania جروا اليها المياه من خربة المنظار المجاورة ٠

(راجع : بلادنـا فلسطين : ج ٨ ــ ق ٢ ٠ ص ٥٠٩ ، ومخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ص ١٥) ٠

(٤١) مخطوطات البحر الميت : ص ١٣٠ ــ ١٣٢ ٠

(٤٢) المرجع السابق ذكره : ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨ ٠

(٤٣) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٤٧ ٠

(٤٤) آثار الاردن : ص ٢٣٦ ــ ٢٤١ ٠

الفصل الثاني

الدّلائل الأثريّة والأدبيّة

وضحالة المخلفات اليهودية

طرات على فلسطين طوارىء جلبت معها اقواما وجماعات لم يخلفوا فيها سوى اشـــــــارات تدل على بدائيتهم وفقرهم الحضاري، ومن هؤلاء اتباع العقيدة اليهودية بمختلف طوائفها. ودراسة مجتمع قمران من خلال الاثار الكتابية التي خلفوهـــا تعطي دليلا على العقائد الباطنية التي تقود العقلية الصهيونية منذ عصور ماقبل التاريخ . حتى انها تشهدنــــا على الاساســ التاريخي للطقوس والرموز الســـــــرية العبرية التي برع الصهيونيون في بنائها ونسجها حول طموحاتهم وأفكارهم .

ودليلنا المادي قائم من تتبع العلاقات الداخلية لافــراد مجتمع قمران . التي تثبت أن التاريخ شبكة من العلاقـــات

الانسانية والعوامل الطبيعية والمادية فلا يجوز تفسير حادثة ما ، أو حالة قابلة للدراسة بمتغير واحد او عامل محدد طالما ان الحادثة التي نستقصي ابعادها يدخل في نشاطاتها السلوك الانساني غير القابل للضبط والتحكم باستمرار من خلال افكار مسبقة غير مؤكدة . ولا بد والحالة هذه من القدرة على تمثل الواقعة بكل أبعادها الزمانية والمكانية وعناصرها الانسانية والطبيعية ، حتى يمكن تصور وبناء ما جرى وصولا لمرحلة متقدمة من القدرة على فهم واستيعاب ما حدث ونتج على ضوء الظواهر والوقائع المسيطرة والمتحكمة آنذاك ، لما نريد استخلاصه واستنتاجه منها لربطه مع المعطيات المتيسرة والاحداث الجارية ، سعيا لمحاولة فهم واستيعاب ما يجري وما يمكن أن يقع مستقبلا .

وكما يمكن للحاسبة الالكترونية التي ينظمها العقل البشري ان تجري ملايين العمليات الحسابية الدقيقة في جزء من الثانية ، لانجاز مهمة اطلاق مركبة فضائية واستعادتها في لحظة محددة وموقع معين ، فانه يمكننا من خلال دراسة بعض النشاطات الانسانية الخاصة في ظروف محددة غير متغيرة نسبيا ، او متغيرة نسبيا وفق جدول من العوامل المضبوطة والمحتملة وراثيا وبيئيا ، تفسير بعض الظواهر المتبدية أو السلوك المستثار في اطار تاريخيته المتسلسلة بانتظام مقبول وتوافق سوي .

مخطوطات مجتمع قمران المكتوبة ماالذي تستطيع ان تقدمه وتضيفه للتاريخ ؟ وعلم الاثار استنادا لنظامهم العمراني ما هي معطياته للباحث الاجتماعي ، لتفسير نشاطات وسلوك

المجتمع القمراني وعاداته على ضوء مكتشفات خرائبه ومغاوره؟

يرى وليم اولبرايت أن ما تم نشره من متضمنات ملفات البحر الميت قد خلق ثورة في معلوماتنا عن النقد النصي للعهد القديم العبري ، وطائفة الاسينيين Essene وعن نشأة العهد الجديد • ولا يوجد الان اي شك في أن تاريخها يرجع الى ما قبل الاحتلال الروماني للمنطقة سنة ٦٩ ميلادية وكل ملفات قمران تقريبا سابقة للعهد المسيحي •

وعندما نتساءل الان عن الكيفية التي اتخذ فيها العهد القديم شكله الحالي ، ننتقل الى حقل سادة النقد الادبي المبني على أدلة داخلية فحسب • أما الان فنرى أدلة خارجية تتدفق من الاكتشافات الاثرية من كل البلاد المحيطة بفلسطين ،

وخاصة مصر وسوريا وبلاد الرافدين وآسية الصغرى • وباضافة هذه الادلة الى الاكتشافات التي أمكن الحصول عليها من التلال الفلسطينية يمكن الاستدلال على العلاقات الثقافية التي وسمت البلاد الفلسطينية بطابعها • فقد احضر العبرانيون معهم الى فلسطين القصص المقدسة الخاصة بنشأة العالم التي تعلموها (١) ، وكثيرا من الادبيات الخاصة بالشعوب التي استقروا بينها حينا من الزمان • وهذه اشارة الى تأثر اليهود الواضح بالبيئة المحيطة بهم • ولكن هذا التأثر هل يعود لمحاولة المسايرة والتكيف مع الجو الذي يحيط بهم ؟ أم انه تأثر شخصي يطبع السلوك بنظمه ومعارفه ؟ يبدو أنه مزيج من الاثنين ، فعقائدهم وطقوسهم طابعها من ثقافة وحضارة خاصة بالاخرين ، وتفاصيلها وتعقيداتها خاصة بهم • فهم رغم التأثر والمسايرة يؤلفون مجتمعا منفصلا • ولكنهم

لايترددون في التخلي عن تقاليدهم وتعاليمهم او جعلها في المقام الثاني من الاهمية اذا تضاربت مع مصالحهم . فمثلا خلال وجودهم في الاسكندرية بمصر في العهد البطلمي اكتسبت بعض عناصرهم مسحة اغريقية تمثلت في اصطناع اللغة الاغريقية واتخاذ الاسماء الاغريقية وارتداء الزي الاغريقي . بل ان بعض يهود الريف بالبيئة المصرية ، كانوا يتحدثون باللغة المصرية ويستخدمون الاسماء المصرية . ونعلم انهم في عهد فيلون (٢) شغلوا حيين من احياء الاسكندرية. بعد أن كان لهم حي واحد في العصر البطلمي . وانتشرت بيعهم في أكثر من حي من أحياء المدينة . ولما لم يكن هناك ارتباط بين مجموعة اليهود واقامتهم في حي واحد أو أحياء متفرقة بوصفه غيتو Ghetto (٣) فهذا يعني انغلاقا مقصودا نجد تفسيره في صلب عقائدهم . فقد داب يهود الاسكندرية على مراعاة تقاليدهم وعاداتهم كما جاء في النص التالي الذي اورده فيلون:

اذا ما حدث هجوم فجائي على مصر او فاض النيل أو شب حريق ، أو هبت عاصفة ، أو حاقت بالبلاد مجاعة أو طاعون أو اذا زلزلت الارض زلزالها أو حدث أي شيء من هذا القبيل في يوم سبت ، هل تلتزمون مساكنكم هادئين لا تحركون ساكنا ؟ ام تتجولون في الشوارع طبقا لعاداتكم ، وقد خبأتم أيديكم في ملابسكم حتى لاتضطروا الى مد يد العون لاولئك الذين يقومون بعمليات الانقاذ ؟ أو تظلون في بيعكم (كنسكم تقرأون الكتب المقدسة ؟ أم هل تسارعون الى انقاذ آبائكم وأبنائكم واموالكم وكل ما هو عزيز عليكم ؟

وثمة ناحية أخرى متصلة بالدين كان لها اثرها فـي أن اليهود نحوا في حياتهم منحى خاصا بهم • تمثل ذلك فـي ابتعادهم عن المنظمات والنقابات المهنية التي كانت تنتظم حياة العاملين في المهن والصناعات • لان الدين كان عنصرا أساسيا في تشكيل هذه النقابات التي كانت تقوم على اساس عبادة يشترك فيها اعضاؤها • ولعل هذا هـو السبب الذي حدا باليهود الى تكوين نقابات خاصة بهم مثل نقابة العاملين فـي نقل القمح الى روما ، وكانت نقابة منفصلة عن النقابة العامة للمدينة • ويؤخذ من مراجع التلمود أن الصناع كانوا يجلسون في البيعة الكبرى (الكنيس) في الاسكندرية حسب مهنهم • ولذلك يرجح أن هؤلاء الصناع كانوا يشكلون منظمات مهنية داخل نطاق الجالية اليهودية • وأن هذه الجالية كانت تشرف على تنظيمها • واذا وفد على الاسكندرية عامل ـ يهودي ـ ينشد عملا ينبغي عليه الاتصال بواحدة من هذه المنظمات لتوفير العمل المناسب له • وترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية جعل منها صورة اغريقية للتوراة القديمة أو خلع عليها ثوبا اغريقيا وان هذه الترجمة في حد ذاتها دليل عـلى ان اليهود كانوا حريصين على التمسك بكتابهم المقدس • ذلك أنهم تبينوا انهم يستعملون اللغة الاغريقية على نطاق واسع في حياتهم اليومية وانه لم يكن هناك بد من نقل التوراة الى هذه اللغة بعد ان نبذوا اللغتين العبرية والارامية اللتـين كانوا يقرأون التوراة فيهما من قبل •

وقد وصفهم فلاكوس بأنهم أجانب وغرباء عن الاسكندرية اي عن مجتمع هيئة المواطنين في المدينة • وقد وصف اليهود

في بعض برديات مجموعة اعمال شهداء الاسكندرية بأنهم قوم جفاة غلاظ غير متحضرين ، وغير جديرين بعضويـــة الجمنازيون ومبارياته . ومعنى ذلك انه لايعترف لهم بأي حق بأن يكونوا أعضاء في منظمات الشباب وبالتالي ليس لهم حق الانتساب الى هيئة المواطنين ، لانهم يفتقرون الى التربية والتعليم وفوق ذلك تتوافر الادلة على انهم كانوا يمارسون اقراض الاموال بالربا الفاحش (٤) .

والفيلسوف الاسكندري فيلون الذي صنف كتابة حوالي السنة العشرين بعد الميلاد ، ذكر الحاسيين في الاسكندرية وفرق بينهم وبين الثيرابيين (الاسيين) فجعل من هؤلاء فرقة متأملة . ومن أولئك فرقة عاملة ، وجعل عددهم أربعة الاف . وقال انهم ينبذون الاسترقاق . ويبتعدون عن القسم . ويعنون بالناحية الادبية من شرائع آبائهم ويؤثرون التأويل ويعيشون جماعات ، جماعات . بصندوق واحد مشترك ووجبات مـــن الطعام ، وانهم اشتهروا بالاقتصـــاد والتواضـــع والمحبـــة والاخوة (٥) .

ويحدثنا فيلون عن جماعة من نســـاك يهود الاسكندرية اتخذوا من قومهم مكانا قصيا حول بحــيرة مريوط وانقطعوا للتعبد والرهبنة وعرفوا باسم المتنطسين Therapeutai وكان لكل عضو من أعضائها صومعة خاصة يقيم فيها منفردا مدة ستة ايام فلا يغادرها الا مرة واحدة كل يوم سبت ليجتمع مع زملائه . ولشدة الشبه بين هذا النمط من الرهبنة وبـــين الرهبنة المسيحية ظن يوسيبيوس Eusibeus انـــه كانت

توجد في الاسكندرية في تلك الفترة التي كتب عنها فيلون طائفة من الرهبان المسيحيين · ويظن البعض ان هذه الطائفة من نساك اليهود خضعت لتأثير بوذي من الهند (٦) · وفي حين يصوب الدكتور مصطفى كمال عبد العليم في كتابه (اليهود في مصر في عصري البطالمة واليونان) ص ٢٨٨ ، ظنون يوسيبيوس مقررا أن الرهبنة المسيحية لم تظهر الا في تاريخ متأخر ، وان تكن قد نسجت على منوال هذه الطائفة من النساك اليهود (٧) · فان عباس محمود العقاد يرى في كتابه (حياة المسيح) ص ١٥ ان هؤلاء المتنطسين ربما كانوا أساتذة النساك اليهود المسمين بالاسيين أو الانسينيين على قول بعض المؤرخين ، لاننا رجحنا أن الاسم مأخوذ من كلمة الاسي بمعنى الطبيب ، وهي تقابل كلمة الثيرابيين اليونانية بمعنى المتنطسين (٨) وهذا يقودنا للتعرف على شيعة الاسينيين عقيدة ونظما وسلوكا ·

شيعة الاسينيين عقيدة ونظاما وسلوكا

فرق اليهود الرئيسية خمسة هي : الصدوقيون والفريسيون والحاسيون (الاسيون أو الاسينيون) والغلاة والسامريون ·

وقد مر بنا في هوامش الفصل الاول تعريف بعض هذه الطوائف ·

والان نفصل تعريف شيعة الاسينيين · فقد جاء في موسوعة بلينيوس الاكبر (٢٤ ـ ٧٩ م) · ان جماعة من

اليهود عاشوا في ساحل البحر الميت الغربي بعيدين عن جــوه المضر ، وانهم كانوا ميالين للوحدة ، غريبين في أمورهم . عاشوا بين اشجار النخيل بدون نساء ، متحرزين من النقود وعلى الرغم من هذا فان عددهم لم يهبط لان كثيرين ممن اتعبتهم الحياة انضموا اليهم ، فخلدوا نوعهم عبر العصور . ويقــول يوسيفوس مؤرخ القرن الاول بعد الميلاد (٣٧ ـــ ١٠٠ م) ، في كتابه (حروب اليهود) ، ان الاسينيين ولدوا يهودا وتحابوا أكثر من غيرهم ، وانهم اعتبروا لذات الجسد سرورا وذنوبــا واعتزوا بالعفة والتعفف ، وجعلوا من التغلب على الشهوات فضيلة . وهم يهملون الزواج وينتقون من اولاد غيرهم الذكور من يعتبرونهم منهم فيقبلونهم صغارا ، ذوي قابلية للتعلــم ويطبعونهم بطبائعهم . وهم لاينكرون صوابية الزواج وحفظ النسل وانما يحذرون سلوك النساء الفاسق مقتنعين ان ليس بينهن واحدة تحافظ على امانتها لرجل واحد ، وهؤلاء الرجال يحتقرون الثروة والغنى ويميلون للتآلف والمشاركة ، وليــس بينهم من عنده أكثر من غيره . فالقانون بينهم يقضي بــأن يقدم الداخل في زمرتهم ماعنده للجماعة . فلا ترى بينهم ظاهرة فقر ولا ظاهرة غنى . بل اختلاطا بين ملك احدهم وملك الاخرين وهم يرون في الزيت وسخا ، واذا مسح احد به بدون موافقته مسح عنه مسحا . ويعتبرون عرق الجسم خيرا وكذلك ارتداء الابيض . ولهم وكلاء خرج صرف يعتنون بشؤونهم المشتركة . وليس لاحد منهم مصلحة خصوصية وانما العمل لمصلحة الكل وليس لهم مدينة معينة يقيمون فيها ، فالكثيرون منهم يقيمون في كل مدينة . واذا جاءهم احد من فرقتهم من أماكن اخــرى وضع ماعندهم تحت تصرفه كأنه له ، وبدأ هو في العمل معهم

كأنه يعرفه منذ زمن بعيد . وهكذا فانهم لايحملون شيئا معهم عند انتقالهم الى اماكن بعيدة الا أسلحتهم خوفا مـــن تعدي اللصوص . ولهم في كل مدينة يقيمون فيها واحد يعين للاعتناء بالغرباء ، يقدم لهم البســة ولوازم اخرى . ولا يستبدلون ألبستهم او أحذيتهم الا بعد ان تصبح خرقا بالية أفناها الزمن . ولا يبيعون ولايشترون شيئا من بعضهم . بل يعطي كل منهم الى غيره ما يحتاج اليه مما عنده ويأخذ ما يوافق حاجته . ولا ينطقون بكلمة واحدة تتعلق بأمور الدنيا قبل شروق الشمس، بل يرفعون صلوات ورثوها عن ابائهم . وبعد هذا يذهبون الى ممارسة العمل الذي يجيدونه . فيعملون بكل نشاط حتى الساعة الخامسة . ثم يجتمعون في مكان واحد . يستترون بنقاب ابيض ويستحمون في الماء البارد . وبعد الانتهاء مـــن التطهير يجتمعون في مكان واحد لايجوز لغيرهم الدخول اليه ، وينتقلون منه الى قاعة الطعام أنقياء كأنهم يؤمون هيكـــلا مقدسا فيجلسون صامتين . فيأتي الخباز ويضع امامهم أرغفة الخبز بالترتيب . ثم يقدم الطاهي لونا واحدا من الطعام في صحن واحد أمام كل منهم . ويصلي كاهن قبل الطعام وبعـــد الطعام ، وهم يشكرون الله في البداية والنهاية لما أنعم بـــه عليهم من طعام ، وبعد هذا يخلعون ثيابهم البيضاء ، ويعودون الى اعمالهمحتى المساء . ثم يعودون لتناول العشاء بالطريقة نفسها . واذا كـــان بينهم غرباء فانهم يجلسون معهم ، ولا يعلو الضجيج بينهم أبدا . ويرى الغرباء فـــي هذا السكوت سرا عظيما . وقد اشتهروا بالامانة والمسالمة (٩) . يأبون أن يحملوا شيئا من ادوات الحرب . غير أنهم انضموا الى غيرهم

من الشيع اليهودية في قتال الرومان حين هاجمت فيالق تيطس بيت المقدس والهيكل (١٠) • وقولهم أثبت من القسم • وهم يتحاشون اعطاء اليمين ويعتبرونه أسوا من الحنث به • ويبذلون جهدا عظيما في درس كتب القدماء • وينتقون منها اعظمها فائدة لنفوسهم وأجسادهم • ويفتشون عن جذور الاعشاب والحجارة ذات الخصائص الطبية ليعالجوا بها أمراضهم (١١) •

تأثير البراهمة والمجوس والبوذيين على الاسينيين

خروج طائفة عن المألوف وارتدادها عن ارث جمهورها العقيدي التاريخي ، مرتبط حضاريا بعوامل شخصية ومجتمعية متعددة ، نفسيا وطبيعيا وسلطويا ونفعيا ، ومناقشة هذه العوامل وتبيان السلوك البادي للجماعة المستحدثة مع دراسة افكارها ومفاهيمها عن الانسان والمجتمع وعلاقتهما المتبادلة ماديا ، تقربنا من فهم الفلسفة الثاوية في مناهجها وتعاليمها وطرائق تكيفها وتصرفها ، وبالنتيجة هل شكلت حركتها اتفاقا مع مناهجنا وتعاليمنا وفهمنا للانسان والحياة خطوة حضارية باتجاه الامام ؟ أم ارتدادا ونكوصا عما هو متعارف عليه من قيم ومعايير وموازين أقامها المجتمع لترقيه حضاريا ومدنيا عبر تاريخه الممتد وتجاربه المتعددة فيه ؟

وبمعالجة وضع طائفة الاسينيين ، يتبين ان نظريات الزهاد ونظمهم قد وصلتهم وحملتهم على التقيد بما توافقوا عليه وتواضعوا على التمسك بأحكامه • ولعلهم قد تأثروا ايضا

بآراء البراهمة والبوذيين ، والمجوس عبدة النار ، والفيثاغوريين والكلبيين (١٢) • وهي الاراء التي جاءت الى القدس ملتقى الطرق التجارية في غرب أسية • وقد نظموا انفسهم في هيئة خاصة ، مستقلين عن غيرهم •

ويعملون بالشعار « مالي ومالك ملك لك » • ويقول يوسفوس أن حياة الكثيرين منهم كانت تطول أكثر من مائة عام ، بفضل طعامهم البسيط ، وحياتهم المنظمة • وكان الرجل منهم يلبس ثيابا من النيل الابيض ، ويحمل فأسا صغيرة ليغطي بها فضلاته ، ويغتسل بعدها كما يغتسل البراهمة (١٣) •

وحياة الزهد هذه شبيهة كل الشبه بحياة البوذيين، وكان « اشوكا » قد بعث بمبشريه البوذيين حتى بلغوا مصر وقورين غربا واكبر الظن اذن انه بعثهم الى بلاد الشرق الادنى (١٤)

ومن هذا نستنتج أن الحركة الفكرية عند هؤلاء اليهود كانت في جوهرها مماثلة للحركة الفكرية الدينية الوثنية المعاصرة لها • فالجماعة بعد أن فقدت ثقتها بمؤسساتها التي تنتمي اليها • اخذت تفكر بالنجاة الروحية الفردية • وكان الدين ذو الطقوس الخفية الغامضة قد بعث هذا الامل في صدور الالاف المؤلفة من اليونان ، وفي بلاد الشرق الهلنستي وايطاليا • ولكن هذا الامل او الحاجة اليه كان اليهود في انتظاره • كان الفقراء او المحرومون ، والمظلومون أو المحتقرون في هذه الارض يتطلعون الى الله كي يرسل لهم من ينجيهم ، ويرفع عنهم نير الذل والعذاب (١٥) •

وعن أنظمة جماعة قمران الداخلية يقول يوسفيوس : أنه اذا شاء أحد ان يلتحق بفرقتهم فانه لن يقبل فورا · بل يؤمر باتباع طريقتهم في المعيشة سنة كاملة دون ان يعتبر واحدا منهم · ويعطى فأسا صغيرة وثوبا ابيضا · وبعد ان يعطي الدليل خلال تلك المدة على مقدرته في الاعتدال ، يقرب من أسلوبهم في العيش ، فيشترك معهم في مياه التطهير · ولكنه يظل ممنوعا من معايشتهم · وبعد اثبات جده على هذا الشكل تمتحن سجاياه سنتين اخريين · فاذا وجد لائقا الحق بالجماعة وقبل ان يسمح له بلمس طعامهم يستحلف على يمين شديدة ، الا يخفي عن ابناء جماعته او يفشي بعقائدهم الى الاخرين ولو اضطره الامر الى المخاطرة بحياته · وكان عليه بالاضافة الى ماتقدم ان يقسم انه لاينقل العقائد الى أحد بالطريقة نفسها التي تسلم بها هذه العقائد · وأنه يمتنع عن السرقة ويحافظ على كتب الفرقة وأسماء الملائكة · ومن يقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيموت بائسا لانه ارتبط بما اقسم وبالعادات التي اعتادها · فلا يجد ما يأكله · حتى انه يضطر لاكل العشب ، فيضعف جسمه حتى الهلاك · وتشفق عليه الجماعة ويعتبرون ما حل به من بؤس ، كفارة كافية عما ارتكب من خطايا فيعيدونه اليهم في الرمق الاخير ·

وهم عند دخولهم الجماعة يحفرون برفش حفرة عمقها قدم · ويسترون أنفسهم بالثوب ، كي لايهينوا اشعة النور الالهي ، ويريحون انفسهم في هذه الحفرة ثم يعيدون التراب الذي حفر منها اليها · وهذا لايفعلونه الا في الاماكن المنفردة

التي ينتقونها لهذه الغاية · ومع ان اراحة الجسد امر طبيعي فانهم يوجبون بالقانون ، غسل أنفسهم بعدها كأنها تنجسهم ·

وبعد انقضاء مدة الامتحان الاعدادي يقسمون الى أصناف اربعة · ويظل المستجدون دون المتقدمين رتبة · فاذا ما لمس المستجدون المتقدمين اضطر هؤلاء الى الاغتسال كأنهم اختلطوا بغرباء · وهم يعمرون بحيث أن كثيرين منهم يعيشون أكثر من مئة عام · وذلك لبساطة طعامهم ونظامهم في المعيشة · وهم يحتقرون بؤس الحياة · ويترفعون عن الالم لاتساع عقولهم · وعقيدتهم في ذلك ان الاجساد قابلة للفساد وانها لاتدوم · وأن النفوس خالدة مستمرة الى الابد (١٦) ·

ونستنتج من الاقتباسات الانفة ، أن تمسك الاسينيين بالنصوص المقيدة جاءت كرد فعل على التسيب والانعتاق العقيدي الواسع للجماعات الاخرى المعتنقة لليهودية · وقد استعمل كثير من علماء الاثار لقب « الحسيديين » اسما لسكان قمران · كما اشاروا بها الى جميع الفئات اليهودية المتمسكة بتقاليدها العقيدية ، اكثر من كونها شيعة معينة أو حزبا معروفا (١٧) ·

ويرى الدكتور علي عبد الواحد وافي انه لم يخل عصر من محاولات تطبيق النظام المشاعي ، ومن مذاهب فلسفية اجتماعية تقوم على اساسه · وكانت الدوافع لهذه المحاولات ترجع الى اضطراب الحياة الاقتصادية ، واختلال توازنها ، وسوء توزيع الثروة ، واتساع الفروق بين الطبقات · وشدة

الفقر والعوز في الطبقات الدنيا ، التي تتألف منها الاغلبية الساحقة من الشعب · ومن أشهر هذه المحاولات ما نسب الى الحسيديين من اتباع العقيدة اليهودية ، بسبب الفروق التي ظهرت بينهم وبين الافراد الاخرين في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وشؤون حياتهم الاخرى · ومعظم أسفار (الانبياء) من العهد القديم خاصة الاصحاح الثالث من (أشعيا) ,Assaie Isaie تصف الترف بين نساء هذه الطبقة (في الفقرات ١٦ — ٢٤) ولكي يبقوا على مستواهم المعاشي والاقتصادي لابد من الامعان في ابتزاز الطبقات الدنيا ، وكانوا لا يتورعون في سبيل الاثراء عن الالتجاء لاخس الوسائل ، من أكلهم للسحت ، ومد أيديهم للرشوة واقراض المعوزين المال بربا فاحش · ثم يستولون على أراضيهم سدادا لديونهم · وصف ذلك أشعيا بأبلغ عبارة اذ يقول :

(ألا تعسا لاولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل الى منزل ، ومن حقل الى حقل حتى لايكون ثمة موضع قدم لغيرهم · وحتى يستأثروا وحدهم بسكن هذه البلاد) ·

(أشعيا Essaie الاصحاح الخامس · الفقرات ٨—١٠)

وقد أدت هذه الاوضاع الاقتصادية وما ترتب عليها من خلل في العلاقات الاجتماعية الى ظهور جماعة الاسينيين Esseniens التي نددت بنظام الملكية الفردية وما يجره على المجتمع من نتائج وخيمة ، ودعت الى الزهد والتقشف لمجابهة البذخ والترف التي كان يحياها اغنياء أتباع العقيدة اليهودية · وحرموا على أنفسهم الاشتغال بالتجارة لما تبعثه في النفوس من جشع وحرص على جمع المال، وجنوح لابتزاز الناس

الاخرين · فاقتصرت اعمالهم على الزراعة والصيد وما يتصل بهما من الصناعات · ولم يكن لهذه النظم أثر ما في حياه معظم اتباع العقيدة اليهودية · فاقتصرت على مجتمع الاسينيين وفي مواطن منعزلة عن الناس في قمران (١٨) ·

وقد سبق ايراد راي المؤرخ يوسيفوس ، والفيلسوف الاسكندري فيلون والباحث الامريكي ول ديورانت في طائفة الاسينيين · ولكن ما علاقة ما كتب عنهم مقارنا بتقاييد مخطوطات البحر الميت وخربة قمران والمرد والمربعات والدالية ؟·

مناهل وهوامش الفصل الثاني

(١) وليم ف · اوبرايت آثار فلسطين · ترجمة د · زكي اسكندر ، د · محمد عبد القادر محمد مطابع الاهرام التجارية · القاهرة، ١٩٧١ ص ٢١٥ ·

(٢) فيلون : ولد نحو سنة ٣٠ قبل الميلاد من النسل الكهنوتي وهو من فلاسفة العقيدة اليهودية الذين عاشوا في الاسكندرية · قرر ان كل تشبيه ورد في التوراة يجب أن يؤول · كما ان الله عنده ليس اله العبرانيين او اله الاسرائيليين فحسب · وانما هو اله العالم والناس جميعا · تحدث في كتبه عن طائفة الاسينيين ومعتقداتهم · وقد ترجمت تآليفه وطبعت مع ترجمة لاتينية لها في لندن سنة ١٧٤٢ م وفي ليبسك سنة ١٨٤٣ وفي باريس ١٨٦٧ · عدا الطبعات الاخرى في لغات عدة

(راجع : تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس ملحق الجزء الاول ، ص ٣٧٧ ، والفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية للنشار والشربيني ص ٩) ·

(٣) مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان · مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ · ص ٢٨٢ ــ ٢٨٥ ·

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٦ وص ٣١٠ ·

(٥) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، ص ٣٨ ٠

(٦) اليهود في مصر في عصري البطالمة واليونان ص ٣٨٨

(٧) المرجع السابق : ص ٢٨٨ ٠

(٨) عباس محمود العقاد : حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ٠ كتاب الهلال العدد ٨٢ ، يناير ــ كانون الاول ١٩٥٨ ، ص ١٦ ٠

(٩) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٣٢ــ٣٤

(١٠) ول ديورانت : قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، المجلد الثالث ، الجزء الثالث ، رقم ١١ ٠ القاهرة ــ مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ١٧٥ ٠

(١١) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٣٥ ٠

(١٢) الكلبيون : زعيم مدرستهم ، ديوجنيس الكلبي Diogenes وقد فتنته شخصية أستاذه سقراط التي تمسكت بالحق وقوته الى اخر لحظة ٠ والتي ضحت في سبيل ذلك بصغائر الحياة المادية فنبذتها ٠ حتى ان ديوجونيس اتخذ من برميل مسكنا ياوي اليه ٠ وقد رغب الكلبيون عن الفنون وفروع العلوم ميلا الى الفضائل ٠ ولا شك ان هذا تزمتا ملموسا لم يقصده سقراط ٠ وقد انتشر تلاميذ المدرسة الكلبية في الارض لا يبتغون من الناس شيئا سوى أن يحملوهم على الزهد والقناعة ويعلموهم أن لا خير الا في الفضائل ولا شر الا في الرذائل ٠ وسموا بالكلبيين لقناعتهم ، ولانهم لا يحملون زادا ٠ وتلك من خصائص الكلاب وان كانت خصائص كريمة ٠

والسعادة عندهم ترادف الكمال • حيث انه لا يوجد كمال ، الا بصحبة السعادة •

(راجع : تهافت الفلســـفة للســـيد محمود ابو الفيض المتوفي • دار الكتاب العربي • بيروت ١٩٦٧ • ص ٨٣ـــ٨٤)

(١٣) قصة الحضارة : م ٣ ج ٣ ، ص ١٧٥ •

(١٤) المرجع السابق : ص ٢١٥ •

(١٥) المرجع السابق : ص ١٨٣ •

(١٦) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، ص ٣٦ •

(١٧) مخطوطات البحر الميت ، ص ٢٧٢ •

(١٨) علي عبدالواحد وافي : بحوث في الاسلام والاجتماع القاهرة • دار نهضـــة مصـــر للطبع والنشـــر ، ١٩٧٨ ص ٢٦٩ ـــ ٢٧٢ •

الفصل الثالث

مقارنة المخطوطات المكتشفة
بالأسفار المتداولة

احتوت تقاييد مخطوطات كتاب النظام والرادوكيت او وثيقة دمشق معلومات يعتقد انها خاصة بطائفة الاسينيين الذين لم يكن لدينا اية معلومات عنهم الا ما جاء في كتابات يوسيفوس وبليني الكبير . ويتفق وصف بليني لمقر اقامتهم بين اريحا وعين جدي ، اتفاقا كبيرا مع ظروف قمران حتى انه لايمكن ان يكون هناك ثمة شك في انهم شعب واحد . والمخطوطات تنقسم الى قسمين رئيسيين :

١ ــ كتب العهد القديم .

٢ ــ مكتوبات دينية وادبية متنوعة .

واكثر التقاييد شيوعا ، اذ اعتبرت الكمية مقياسا للشيوع ، كانت اسفار اشعيا والتثنية والمزامير . وتوجد

احيانا امثلة من النص الماسوري (١) « النص العبري المعتمد » ومن النص السبعيني « ترجمة يونانية قديمة للعهد القديم » . وايضا باللغة السامرية وترجمات اخرى .

وبصفة عامة ، فان هذه المخطوطات التاريخية لاسفار العهد القديم تحبذ القراءة السبعينية على القراءة الماسورية Massoretic اما المكتوبات الاخرى فتشمل كتب ابوكريفا (٢). وتعليقات على اسفار العهد القديم ، وتراتيم ومزامير ، وكتابات لاهوتية تتعلق بمذهب سكان قمران. ومن ضمن كتب الابوكريفا كتاب طوبيا مكتوبا لاول مرة بلغته الارامية الاصلية . ولم يكن معروفا من قبل الا عن طريق ترجمة يونانية . وبعض كتب الابوكريفا الجديدة الهامة : كتاب الحرب بين ابناء النور وابناء الظلمة ، وكتاب اخنوخ ، وعهد الاثني عشر بطريركا . واقوال موسى وغيرها .

اما التعليقات فتتضمن محاولات لتفسير اجزاء من كتب العهد القديم مثل : سفر حبقوق وناحوم في ضوء الاحداث الماضية أو الحاضرة المتعلقة بهذا المذهب . ومما يدعو للتفكير تلك الاشارات غير الواضحة وذلك العدد القليل المذكور من الشخصيات المعروفة تاريخيا . فقد راعوا الا يذكروا اسم مؤسس طائفتهم الذي كانوا يدعونه فحسب ، معلم البر ، والذي قادهم على مايبدو الى البرية ليؤسس ما يمكن وصفه بأول مستقر للرهبنة والتنسك . وهم يسمون انفسهم بشعب العهد الجديد الذين اختاروا لانفسهم طريق الحياة الابدية . وتقترب فلسفتهم كثيرا جدا من فلسفة المسيحية الاولى .

والاسرار المقدسة المركزية لهذا المذهب كانت المعمودية للتوبة عن الخطايا · والعشاء الرباني من الخبز والخمر · بيد ان الامر ليس قاصرا على اوجه التشابه في الممارسة تفصيليا بين الاسينيين والمسيحيين، بل يتناول بنفس الاهمية الاراء اللاهوتية الشائعة لدى كل من المذهبين · فكلاهما يعيش في نهاية الايام · وكلاهما يعيش في عالم تتصارع فيه قوى الخير مع قوى الشر · وقد راى الاسينيون في احداث العصر الذي عاشوا فيه علامات لتحقيق نبوات العهد القديم ·

وفي التقاييد بعض التوافق مع اقوال يوحنا المعمدان · الذي يعده بعض الباحثين عضوا في هذا المذهب ·

ويوجد في ذات الوقت والموضوع تناقضات عدة بين هذا المذهب الاسيني والمسيحية الاولى · ولعل اهمها ان الاسينيين اعتقدوا ان الخلاص قاصر فقط على شعب هذا المذهب المختار من الله · بينما بشر المسيح بالخلاص لكل الناس · غير انه لاتزال امامنا سنوات طويلة قبل ان تتم ترجمة التقاييد بكاملها · وعندئذ سيكون لدى الباحثين وتحت أيديهم مادة لدراسة العهد القديم ، ولدراسة اصول الكنيسة المسيحية الاولى (٣) · ذلك ان تقاييد المخطوطات اهتم بها في ان واحد كل من الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية واحبار اليهود · لانها براي ادموند ويلسون E. willson ابانت للمسيحيين ان ما اعتقدوه منزلا هو في الواقع يهودية متطورة · واوضحت لاتباع العقيدة اليهودية ان النصرانية ليست خروجا على دين الاباء ، وانما هي مذهب من مذاهبهم · وهذه ذات الاراء التي

جاءبهامن قبله العالم الفرنسي دوبون صومر Dupont Sommer
والبحاثة الانكليزي يوحنا بن مرقس بن المغرو J. M. Allegro
اذاع من محطة لندن ان بعض نصوص قمران التي لم تنشر
اظهرت ان معلم الصدق الاسيني ، صلب على عهد الكسندروس
ينابوس ، وان جسده انزل عن الصليب ودفن ، وان تلاميذه
انتظروا قيامته ومجيئه الثاني ، وان يسوع الناصري لم يكن
اول من صلب ودفن وقام (٤) ٠

وهذه الاراء المغايرة لافكار اسد رستم في كتابه حول
مضامين مخطوطات قمران ، توضح اهمية اثبات بعض
التفاصيل والتقاليد التي احتوتها المخطوطات سواء ما وجد منها
في قمران أو في وثيقة دمشق وغيرها حول ذات الموضوع ٠
ورغم اهمية كتاب موريس بوكاي Maurice Bucaille حول
« دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » ٠ فانه
غير مفهوم قوله : لقد « وضعنا جانبا اسطوانات مغارة قمران
التي ترجع الى ما قبل العصر المسيحي بقليل وبرواية الوصايا
العشر التي تختلف اختلافا ؟ عن النص الكلاسيكي ، وبعض
مخطوطات ناقصة ترجع الى القرن الخامس بعد الميلاد « كنيس
القاهرة » (٥) ٠

ويقصد بوكاي بمخطوطة كنيس القاهرة ما سمي بوثيقة
دمشق ٠ وبالاختلافات الطفيفة ، تلك الفروق التي وجدت بين
تقاليد قمران ونصوص التوراة السامرية والماسورية المعتمدة
والترجمة السبعينية اليونانية للتوراة ٠ واحجامه عن عقد
المقارنات يرجعه الى سوء حظه لعدم تكوينه اية فكرة عن

الموضوع • وهذه مسألة فيها نظر ، خاصة وان الاف الكتب والمصنفات والنشريات المؤيدة والمضادة صدرت عن مئات الباحثين وعشرات المعاهد والجامعات العلمية واللاهوتية المتخصصة التي بحثت في الفروق بين النسخ المتداولة وقارنت بينها وبين تقاييد المكتشفات الغنية في مواقع القمرانيين • فاذا كانت « التوراة السامرية تختلف عن النص الماسوري في أكثر من ستة الاف موضع • وتتفق مع الترجمة السبعينية في الثلث فحسب » (٦) • فما هي مواضع الاتفاق والاختلاف بين تقاييد جماعة قمران والترجمات التوراتية الاخرى ؟•

التقاييد القمرانية مقارنة بترجمات التوراة وتعاليم المسيح

لعقد مقارنة ما بين موضوعين او مسألتين او قضيتين ، لابد من وجود عناصر او مواد او معطيات او نصوص يمكن شكليا او نوعيا مشابهتها او مماثلتها او مفاعلتها او مطابقتها كليا او جزئيا ، لتهيء الحد الادنى الموصل لبداية منطقية معقولة لامكانية انشاء المقارنة المقصودة • وبفقدان أو تغييب المشبه أو المشبه به كليا عن ميدان البحث والدراسة حتى ولو من ناحية المحفوظات التاريخية ، يضحي الامر رجما بالغيب في عصر انقطعت فيه المعجزات والايات الخارقة على يد الانسان بانقطاع الوحي • وظواهر التقدم المدني الانساني المشترك في عصور البخار والكهرباء والذرة لم يواكبها انسانيا تقدم موازي في فهم وتفسير وتأويل النصوص العقيدية الارثية • وهذا الانغلاق والتحجر مهد الارضية التي اطلقت جائحة التنظيمات الدولية المشبوهة المتسترة بالطائفية والعالمية والكونية على أنها تحتوي

وتضم أروع وأجمل وابهى ما في الديانات والعقائد · فهي والحال هذه تسمو على ماتعارف وتواضع البشر على قبوله ، جرا لاصحاب المصالح النفعية وتوابعهم من الدهماء الى تقمص أرواح ليست ملائمة لطبيعتهم الانسانية ولتقاليد مجتمعهم وحضارتهم المقننة · وعليه فما هي الافكار والعقائد التوراتية المتداولة ؟ وما هي تقاييد القمرانيين ؟ وما الفوارق بينها ؟·

سفر اشعيا :

مخطوط اشعيا هو المخطوط الوحيد الذي يحتوي على سفر كامل من التوراة · وباستثناء بعض الجذاذات الصغيرة فانه أقدم مخطوط وجد في المغاور · ويرى ميللر بروز Burrous Millar ان كثيرا من الاختلافات بين مخطوط اشعيا وبين النص المسور المعتمد يمكن تفسيرها بأنها اخطاء في النسخ · وقد اختيرت ثلاث عشرة قراءة يختلف فيها المخطوط على النص المسور المعتمد · ومن المعروف وجود بعض الفوارق بين النسخ الارامية والارامية السريانية واللاتينية واهمها النسخة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية (٧) ·

سفر حبقوق وشعب الكتيم :

ملف سفر حبقوق صغير نسبيا ، وقد بلغ طول المخطوط بعد فتحه خمسة اقدام · والنص اكثر وضوحا وحفظا واجمل كتابة من مخطوط اشعيا الاول · وهو اكثر اهمية واشمل فائدة من كافة المخطوطات التي اكتشفت من حيث التعرف على الجماعة التي اوجدتها وعلى تاريخها · لانها تشير الى اشخاص معينين وحوادث معينة · بعبارات قصيرة ، تليها تفسيرات وشروح عن تاريخ القوم · مثال ذلك ما جاء في الاصحاح الاول من العدد

السادس : فهأنذا اقيم الكلدانيين ـ الامة القاسية القاصمة.
وقد فسر الشراح هذا القول بأن شعب الكتيم (٨) سريعون اشداء في الحروب وهم لايؤمنون بشرائع الله اسرائيل. يحيكون الشر وينفذون الخطط بدهاء وغش . يدوسون الارض بخيولهم وحيواناتهم . يأتون من اماكن بعيدة ، من شواطىء البحر ليلتهموا الشعوب كالطيور الجوارح . وليس في مثل هذا القول ما يعين المؤرخ على التحديد والتعيين . واوضح ما جاء عن شعب كتيم انهم يقدمون الذبائح لاعلامهم ويسجدون لاسلحتهم (٩) . وتتفق مواضيع سفر حبقوق في مواضع كثيرة مع مضمونات الوثيقة المسماة بالدمشقية . فما هي مضمونات هذه الوثيقة وما هي مواد تشابهها مع مخطوطات البحر الميت ؟.

المخطوطة الدمشقية وتشابه معلوماتها مع كتاب النظام وتعليقات حبقوق :

عثر العلامة شختر Schechter في سنة ١٨٩٦ في جنيز (١٠) كنيس في القاهرة يعود الى العصور الوسطى ، على مخطوطتين قديمتين تعودان الى القرنين العاشر والحادي عشر او الثاني عشر وتعرفان بالمخطوطة الدمشقية ، اوالمخطوطة الصدوقية ، أو مخطوطة القاهرة الصدوقية . وتقع الاولى منهما في ثماني وريقات والثانية في وريقة واحدة . وهما تمتان بصلة وثيقة الى مخطوط وجد في كهف قمران السادس وقد جاء في المخطوطتين ان جماعة من اليهود ممن شعروا بذنوبهم وتلمسوا طريقهم مدة من الزمن غشموا « بمعلم صلاح » اقامه

الله عليهم • وقد خرجوا من اسرائيل وهارون ، اي من الشعب والكهنة ، وعرفوا بأبناء صادوق « صموئيل الثاني ٨ : ١٧ » وقد اتفقوا أن يبتعدوا عن الاشرار ، والا ينهبوا الفقراء ويحفظوا السبت ويحبوا بعضهم بعضا • وهي أمور اتفق عليها أبناء العهد الجديد في أرض دمشق •

وقد عثر المنقبون في الكهوف القمرانية ، الرابع والخامس والسادس على قطع يتفق نصها وما جاء في الوريقات « أ » من مخطوطة دمشق • وفيها ايضا مـا يكمل نصوص هـذه الوريقات • وقد تبين من درس النصوص القمرانية أن المصنف الذي بقيت منه هذه القطع جاء في جزئين أولهما يبين خطـة الخلاص الالهية « الفصول ١ ـ ٨ » • والثاني يظهر النظم التي وجب اتباعها على الاخوان (١١) • وليس لدينا اي دليل على انهم وصلوا دمشق • وقد استمر العلماء على خطة الباحث شختر في الانكباب على دراسة الوثيقة الدمشقية في كل مناسبة وكان اخرهم الدكتور موراغ الذي استطاع في جامعة كمبردج سنة ١٩٦٥ ، أن يصل الى حقائق تلقي أضواء جديدة علـى تاريخ طائفة قمران وأنظمتها التي كانت تلزم بها كل من يدخل في عدادها وكيف كانت تتشدد في تطبيق شريعة موسى (١٢)

والباحث ميللر بروز احد الذين أدركوا أهمية تقاييد مخطوط حبقوق مقارنة بالمخطوطة الدمشقية ، ففي اذار عام ١٩٤٨ ، وبعد اطلاعهم على كتاب شختر ، اكتشف مع الباحثين وليـام براونلي وجون تريفر ، أن المخطوطة الدمشقية أحدث بكثير من مخطوطات البحر الميت • وأن التشابه في محتوياتهما حقيقي

ومتين جدا • وان الكثير من الملاحظات والمزايا مشتركة بينهما •

فمعلم الحق ورجل الكذب يظهران في وثيقة دمشق وتعليقات حبقوق • كما تظهر فيهما أيضا الاصطلاحات المميزة للرتبة والنظام والطهارة في الطعام المقدس •

وهنالك مشابهات ظهرت في كلتا الوثيقتين لابد من اثبات بعضها لاظهار العلاقة بينهما :

جاء في كتاب النظام : « أحب كل الذين اختارهم • واكره كل الذين انبذهم • كن بعيدا عن كل الشر • واقترب من جميع الاعمال الحسنة • وقل الحقيقة واعمل الحق وانشر العدل على الارض •

ونص الوثيقة الدمشقية المشابه : والان يا أولادي اصغوا الي • وسأفتح أعينكم لتروا وتفهموا اعمال الله • وتختاروا ما يحب • وتنبذوا ما يكره • وان تقوموا بجميع اعماله • وان لايراودكم شعور بالجريمة وأن لا تمتلىء عيونكم بالاثم •

جاء في كتاب النظام : أولئك الذين يمرون بالعهد يجب أن يعترفوا بقولهم لقد ارتكبنا الباطل واعتدينا وارتكبنا الاثام واقترفنا الشر ، نحن وآباؤنا من قبلنا متعمدين القيام ضد المبادىء الحقيقية •

ونص الوثيقة الدمشقية المشابهة:ونعترف امام الله اننا ارتكبنا الاثام واقترفنا الشر نحن واباؤنا من قبل خارجين على العهد والناموس •

جاء في كتاب النظام : اذا وجد في أي مكان عشرة أفراد في مجلس الجماعة ، يجب أن يتوفر بينهم كاهن منهم ٠

ونص الوثيقة الدمشقية المشابه : في كل مكان يجتمع فيه عشرة ٠ لا يجوز أن يخلو من كاهن يقرأفيكتاب الله ٠

جاء في كتاب النظام : عليهم أن يحكموا بالاحكام الاولى التي يقرها الحاضرون حتى يأتي نبي ومسيح من هارون واسرائيل ٠ هذه هي شريعة الرجل الحكيم التي يعيش بموجبها ويجب أن يتعامل بها مع كل انسان ٠

ونص الوثيقة الدمشقية المشابه : هذا هو نظام الجماعة في خيامهم ، أولئك الذين يسيرون بموجبه في أوقات الشر ، حتى يقوم مسيح من هارون أو اسرائيل ٠ هذه هي الانظمة التي يجب أن يتقيد بها كل مخلوق ٠ الى جانب بعض عناصر التوافق هناك بعض الاختلافات ٠ فبينما تتحدث الوثيقة الدمشقية عن الجماعة أو الهيئة يتكلم النظام دائما عن الجماعة ٠ وفي حين تكثر الوثيقة الدمشقية من الكلام عن المخيمات ، نسبة الى المدن ٠ فان كتاب النظام لايذكر شيئا عن ذلك ٠ وهذه الاختلافات تدل على أن الوثيقتين وضعتا لحركة دينية عامة واحدة ٠ ولكنهما لا تمثلان تمثيلا تاما ذات المجموعة داخل الحركة ، ولاتفس مجالها وتاريخها (١٣) ٠

والاستنتاج الذييصل اليه الباحث ميلار بروز بعد مقارنته لما جاء في كتاب النظام بنصوص الوثيقة الدمشقية : كلام عام غير محدد للباحث الذي يروم مزيدا من الاضواء العلمية على

اصول التوراة المتداولة وعلاقة المسيحية الاولى بها · وهــذه الاسئلة ما كانت لتثار حول اثار العهد العتيق، لولا المخطوطات واللوحات القمرانية والنصب العديدة المكتشـفة في سـومر وماري واوغاريت وتل مرديخ وغيرها مـن المدن الكنعانية · وتحاول الصهيونية السياسية الراهنة ، توظيف كل المكتشفات الاثرية لخدمة سياستها العرقية العنصرية التدميرية · فمثـلا وجود اي شكل تزييني سداسي على شكل نجمة على أي بنـاء وليكن في معابد الصين أو اليابان أو منغوليا او قصور اسبانيا أو تكايا دمشق أو نصف واجهة النجمة السداسية كمـا فـي اهرامات مصر ، ليسهل للدعاية اليهودية الصهيونية المضللـة عملية اغراق السوق العلمية والادبية الدولية بالاف النشريات الموجهة حول ذات الموضوع ليبدو وكأن وجهة النظر العرقيـة اليهودية هي الحكم الفصل فيها · فموضوع مخطوطات البحر الميت التي كتبت فيها اكثر من ثلاثة الاف دراسة استهدفت في أولوياتها زعزعة اسس العقيدة المسيحية التي بشر بها السيد المسيح ، في الوقت الذي لاتقيم فيـه معظم تلك الدراسـات معاييرها وموازينها على أساس علمي يمكن أن يقرب البـاحث المتخصص وحتى القارىء العادي من قبول مؤثرات محتملـة في الاتجاه المطلوب أو أحكام قريبة من الدقة يمكن الاستدلال بها والاعتماد عليها · واذا اقام بعض العلماء والباحثين الدليل على أن شرائع وآداب العبريين مأخوذة بكاملهـا ، باستثناء النظرة العرقية العنصرية اليهودية الصهيونية ، عن النصوص الكنعانية التي سبقت التوراة بمئات السنين ، نرى علمـاء الكتاب المقدس وقد شمروا عن لاهوتياتهم وتفسيراتهم وبدأوا

حربا مدروسة دقيقة ، دون الاعلان عنها ، كان وما زال القصد منها اعادة الاعتبار لتوراة اليهود • وقد نجحت مع الاسف عملية غسل الدماغ هذه في اوروبة فارتد الفكر الاوروبي العقيدي ومن غير تعميم الى مجاهل القرون الوسطى • ففي الخمسينات بدأت أصابع خفية وعن سابق قصد وتصميم، تحريك الاهتمام بالكتاب المقدس بشتى وسائل الاعلام من صحافة وتلفزيون وسينما وجمعيات مشبوهة • بل ان الفاتيكان وغيره من المؤسسات المسيحية العالمية بدأت باصدار الوثيقة تلو الاخرى مطالبة الكاثوليك بأن يعترفوا بالمعنى الديني لدولة اسرائيل • وبأهمية اسرائيل للشعب اليهودي • وبمحاولة تفهم الاهمية الدينية التي يعلقها اليهود على اسرائيل • فاذا ناقشت أحد المؤمنين البسطاء في قضية فلسطين ، حتى قاربت اقناعه ببطلان اسرائيل • صاح بوجهك : الست مسيحيا مؤمنا ؟ الكتاب المقدس يقول بأن الله أعطى فلسطين لليهود ، شعبه المختار ، والكتاب المقدس يعطيهم الحق في الارض دون الفلسطينيين الى ما هنالك من ضلال مبين سكبته الصهيونية على مهل وخبث ، في عقول الاوروبيين السذج ، ومنهم رجال الدين هناك • وهنا أيضا في بلادنا العربية هناك من أضحى ينادي جهارا بتطبيق الاسرائيليات العنصرية الصهيونية على الارض العربية والانسان العربي •

فالكتاب المقدس تاريخ • ولكنه تاريخ الله مع شعب يقول ان الله اختاره • واظهر له نفسه ، واقام معه عهدا • وانزل عليه وحيا • فهل هذا صحيح ؟ ولكن لماذا اختار الله اليهودية الصهيونية من بين الشعوب قاطبة ليقيم عهده معها ؟ وما هو

هذا العهد الذي اقامه معها ؟ يبدو أن اله التوراة أراد ان يهب ارض كنعان الفلسطينية والسورية والاردنية واللبنانية والعراقية لنسل الشر اليهودي • وهذا عهد يخدم اسرائيل وأدواتها فحسب •

واذا اتصفت جماعة الاسينيين القمرانيين بالنسك والزهد والتقشف وحب الفضيلة والاخلاق والابتعاد عن الزنى ومساوىء الاخلاق ، وفي ذات الوقت اصرارهم على أنهم النخبة والصفوة التي اختارها الله لنفسه ، فان العناصر الفكرية والمادية المقتبسة من الشعوب التي نزل اتباع العقيدة اليهودية بينها ، ستتشهد بالاضافات الذاتية الصهيونية غير الانسانية التي صبغوا بها عقائد الشعوب الاخرى التي انتحلوها وتلبسوها وكأنها من ابداعهم الخاص • المشكلة اذن ليست في شخص اليهودي وجسده ، ولكنها تكمن في عقائده وأفكاره المتعالية التي تجلب عليه وعلى من جاوره الشقاء والالام • وتخلصه منها تخليص لنفسه وجسده من تلك المعاناة ، وتخليص لمن جاوره من ذات المعاناة ايضا • ويوحنا المعمدان معمد المسيح والذي يحتمل ، على حد قول وليام براونلي : ان الاسينيين قد تبنوه وهو طفل ، لان التبني كان من عادتهم كما جاء في يوسيفوس ، كان يقول ان التطهير بالاستحمام لا يمحو الذنوب ، انما يجب تطهير القلب والنفس من الداخل • وحتى اذا كان يوحنا عضوا من اعضاء الاسينيين فانه انسحب من هذه العضوية ، واتخذ له مظهرا خاصا استقل فيه بتعاليمه وافكاره ليكون نبيا على طريقته الخاصة ، حاملا معه بعض المعلومات عن جماعة قمران التي اخذت تعاليمها ومعتقداتها وعاداتها ، وباستثناء

العرقية العنصرية منها ، عن جيرانهم الكنعانيين ، منــددا باليهود الذين دعاهم بأولاد الافاعي ٠

وعن الجذور الفينيقية في عقيدة الاسينيين يقول جمبليك الفينيقي بأن والد بيتافور كان تاجرا من ساموس احدى جزر بحر ايجه ٠ وقد نذرت زوجته برتنيس للرب ادوناي ابنهـا بيتاغور ٠ فجاءت به الى هيكل افقا وعمدته هناك بالماء خضوعا لعادة ابائها او لمراسم الطائفة التي تنتمي اليها ٠ والعماد بالماء لاجل التطهير عادة كنعانية قديمة ٠ وبيتاغور الذي تربى ونشأ على أيدي اشهر فلاسفة عصره ، انفرد في جبل الكرمل متنسكا متصوفا ، وبعد أن عاد الى كروتون التي كانت محطة تجارية كنعانية ، أسس مدرسته الفكرية ٠ فحقق بيتاغـور حلمه الفريد وطبق جميع المبادىء السامية والمثل العليا ٠ وبناء على ذلك الا يجوز الاعتقاد بأن بيتاغور طوال المدة التي انعزل فيها في جبل الكرمل قد نشر رسالته الكنعانية فأثر بها علـى الاسينيين ؟ وبالتالي ألا يجوز الاعتقاد بأن بيتاغور هو مؤسس النحلة الاسينية ؟٠

ومع اتفاق جميع الاناجيل على ان يوحنا المعمدان كـان ممهدا للمسيح ، فان يوحنا قد بكت اليهود وندد بهم في مواقف ومناسبات عديدة وهكذا راح المسيح يبكت اليهود ويندد بهم ويضرب بكهنتهم ٠ وبما أن المسيح خضع للرمز الروحي وهو العماد على يد يوحنا وتقبل ما بشر به من سمو في الاخلاق وروح ومحبة نقلا عن كنعان ، فان هذا يعني مشاركته برفض عقائد اليهود وكل ما لهم من عادات وتقاليد ونظم وعادات ٠

يشوبها الحقد والثأر وتطفح منها رائحة البغض والدموالكراهية وتوبيخ يوحنا المتواصل لليهود بسبب رذائلهم وخروجهم عـــن الشرائع الانسانية والحاحه عليهم لاتباع الحق قد يكون سببا لقتله • مع علمنا بأن الاناجيل تقول بأن يوحنا وبخ هيرودوس على اتخاذه هيروديا امرأة أخيه فيلبس امرأة له مما استدعى قطع رأس يوحنا (١٤) •

ومن الادلة عن اختلافات عقيدة يوحنا عن عقائد الاسينيين رفض الطائفة القمرانية لمقولة اطلاق الحرية في الحياة لمريدي

يوحنا لان الانسان العادي كان أسمى معانيه • فـــي حين أن التنظيم المحكم للمجتمع القمراني مانع في تطبيق ذلك المبدأ وحفظ نفسه منه انغلاقا وتشددا • اذن فهناك تناقض ما بين المسيحية والقمرانية فيالاساليب المعاشية الحياتية• وفي حين بشـــر المســـيح بدعوتـــه بين النـاســـ ، كانت القمرانيـــة تكـــره الاشـــخاص الذين هـــم خـــارج طائفتهـــا • وفـــي حين جسدت المسيحية صورتها في شخص واحد ، تجسدت الطائفة القمرانية بتعدد اشخاصها • واذا كانت هناك فيمجال الادب والقانون والعقيدة مشابهات عدة ، فهناك في ذاتالمجال تباينات عدة مختلفة النوعية • فالقمرانية التي شغلت نفسها بالتنبؤ بالكيفية التي سيأتي عليها المسيح المخلص وعن مآل الحياة البشرية ونهايتها (١٥) لم تحدد هذه النهاية ومراحلها سواء انكانت فيطريق الاعداد أو فيمرحلة التنفيذ أو الارجاء ويتضح من كتاب النظام أن النهايـــــة لا تزال أمرا مرهونا بالمستقبل • وقد وجد في صحائف الوثيقة الدمشقية أن نهاية العالم واقعة حتما كمـــا يظهر ذلك أيضا فـــي المزامير وفـــي مخطوط الحرب •

مخطوط الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام :

من مخطوطات البحر الميت التي تضاهي مخطوط حبقوق في التلميحات التاريخية المخطوط الذي سميناه : حرب ابناء النور وأبناء الظلام ، الذي يؤسس الانشقاق الذي حدث عندما أتى أبناء النور من صحراء الامم ، ليسكنوا في صحراء اورشليم ٠ ومن المحتمل أن تكون صحراء الامم في أراضي دمشـــــق ، وصحراء اورشليم هي البرية المطلة على البحر الميت ٠ وهذا الاحتمال الذي يورده ميللر بروز من غير سند علمي ، عن نزول اليهود على أراضي دمشق ، يبعث على الريبة في مقاصد شراح مخطوطات البحر الميت ٠ فصحراء الامم برايهم من المحتمل أن تكون دمشق ٠ ولماذا دمشق بالذات وفي هذه المرحلة من التاريخ السياسي المعاصر ؟ ومن المحتمل أن يكون خروج اليهود الى اراض غير يهودية . وكلا الاحتمالين يستهدف التشويش تاريخيا على نشاطات اليهودية العنصرية العرقية في المنطقة الكنعانية العربية ٠ وكأن التاريخ اليهودي العرقي قطب المعرفة والحياة وما دونه توابع وزوابع في فلك الشعب المختار ٠

ومخطوط الحرب يسمي جيوش ادوم وموآب والفلسطينيين بأبناء الظلام الذين يؤلفون جيوش بلعال أي الشيطان ٠ ويذكر المزمور ٣٨ انهم عاشوا فـــي شـــرقي الاردن والبحر الميت ٠ واستمروا على عدائهم لليهود العرقيين منذ دخول موسى حتـــى الفتح الروماني (١٦) ٠

وهذه الثنائية في النزاع الدائم بين الخير والشر وبـــين

معلم الحق والكاهن الشرير تدلنا على الاثر البالغ للثنائية الايرانية القديمة في تطور الفكر القمراني · واليك ترجمة انشودة من اناشيد حرب ابناء النور اي اليهود العرقيين ضد ابناء الظلام اي سكان البلاد المسالمين :

انهض أيها المحارب ، واحصد ايها الشجاع ، وضع يديك على رقاب اعدائك · ورجلك على اكوام موتاهم · اجذب الشعوب المعتدية واضمن المجد ، واملأ ميراثك بالبركات فهذا هو اليوم الذي عينه الله لاذلال مملكة الشر (١٧) .

وعلى كل حال فليس لدينا اية اشارة تاريخية الى حرب معينة معروفة تثبت ما ورد في هذه الوثيقة (١٨) سوى انها من الادبيات اليهودية المغرقة في تصوراتها عن الكيفية التي سيتم فيها تدمير ممتلكات المنطقة التي نزلوا ارضها ونعموا بخيراتها · واعمال ايديهم اليوم تدلنا عيانا على اساليبهم البدائية الهمجية في محاولتهم اجتثاث واستئصال وابادة العرب الذين عاش اليهود امنين على انفسهم بينهم · ودليلنا القريب نستمده من تطورهم المدني والحضاري الذي ارتقوا اليه في شبه الجزيرة الايبرية ايام الاندلس العربية· عندما اعتبروا أنفسهم جزءا من حاضر البلاد ومستقبلها · مرتدين عن عرقيتهم وعنصريتهم ، بفعل الجو السامي الانساني الذي احاطهم به العرب والذي انقذ بعضهم من شرور انفسهم قسرا عنهم · والجاهل يبلغ بالاذى من نفسه مالا تبلغه الاعداء منه ·

مزامير الشكر ومعلم الصلاح :

مزامير الشكر هي « الحديات كما جاء في العبرية ٠ وحدا يحدو في العربية رفع صوته بالحداء ٠ وحدى القارىء يحدى تردد الى قدام وخلف وهو يقرأ جالسا ٠ ومخطوط الحديات من مخطوطات كهف قمران الاول .وقد جاء مخروما في أماكن عديدة ، ولم يبق منه سوى ثمانية عشر عمودا وعدد كبير من القطع الصغيرة يربو عددها على الستين ٠ وعدد المزامير المحفوظة عشرون ٠ ولعلها كانت أكثر بكثير من هذا العدد ٠ وتبدأ هذه اللزامير بالعبارة الاتية : اني اقدم لك الشكر يا الله ، ومن هنا القول انها مزامير الشكر ٠ وناظم هذه المزامير بموجب نصوصها ، هو المعلم الذي يعلم ، والاب الذي يعتني ومصدر الحياة الحية ، مشيد بنيان الجماعة وبستاني البستان الابدي ٠ ومن أجدر بهذا كله من معلم الصلاح نفسه ؟

قانون الاخلاق :

هنالك قطع كثيرة من مخلفات الكهف القمراني الرابع تتضمن نتفا من قانون الاخلاق الذي يرتكز الى نصوص الاسفار الخمسة ٠ وهو يوجب درجة من الانضباط اشد واضيق مما ينص عليه قانون السلوك عند الفريسيين (١٩) ٠

وقد ورد في هوامش الفصل الاول تعريف بالفريسيين وعقائدهم ، كما جاءت في قصة الحضارة لول ديورانت ٠ وزيادة في الايضاح لغاية الاستيعاب الاشمل ، لابد من تعريف

موجز بالتوراة السامرية والهيروغليفية والسبعينية والقرائية ·

المؤرخ القرقساني والمغائريون والقمرانيون والاسينيون والصدوقيون :

ذكر المؤرخ القرقساني وهو من أعيان اتباع العقيدة اليهودية في القرن العاشر (٢٠) في كتابه الانوار والمراقب عن تاريخ الفرق اليهودية (٢١) · ان المغايرة عرفوا بهذا الاسم لانهم وجدوا كتبهم في مغارة · ويضيف انهم وجدوا أسفار الاسكندرية وكتاب المعارف · وان الباقي لم يكن ذا اهمية · وكان قد سبقه الى ذكر المغايرة بهذا الاسم نفسه ، بنيامين النهاوندي من أعيان القرن التاسع (٢٢) · لانه كان مطلعا على كتبهم التي وجدت في كهف قرب أريحا · وانها دفعته لتطوير مذهب القرائيين على أسس جديدة (٢٣) ·

ويرى ديفو وبارثلي ان المغائريين لايبعد أن يكونوا جماعة قمران · ويقول كهيل أن المغائريين كانوا اسينيين ولم يعرفوا بالمغائريين الا مؤخرا عندما كشفت كتبهم في المغائر · وبناء على هذا لايبعد ان يكون القمرانيون ، الاسينيون ، الصدوقيون الغلاة والمغائريون طائفة واحدة · بدليل وجود التشابه بين الصفات التي ذكرها المؤرخون القدماء · بينما عرف من وثيقة دمشق ومخطوطات البحر الميت وجود فوارق طفيفة اقتضتها تغييرات الزمن وتأثيرات المكان · و « يتجر » في الجهة الاخرى يصر على أن جماعة مخطوطات البحر الميت كانت أقدم طائفة يهودية تنصرت وعرفت باسم الابيونيين Ebionites

وهي نظرية لايمكن الدفاع عنها ، مع انه ظهر تقارب بين نصوص قمران وبين الوثائق المسيحية الاولى المعروفة بكتابات كليمنت « كليمانوس » (٢٤) المنحولة • التي يظن أنها مأخوذة عن أصل ابيوني • ومع وجود بعض الاختلافات في عدة امور ، فقد وجد في نصوص الجماعتين تشابه تام في العقيدة والعبادة وطرق المعيشة • وهذا لا يحتم وجود اتصال مباشر بين الابيونيين والقمرانيين • واوضح فرق بينهما ، ان الاسينيين خرجوا من الهيكل ولم يتقيدوا بتقديم العبادات والذبائح فيه • كما انتقدوا كثيرا من نصوص التوراة مما دعا الكهنة لاضطهادهم واجبارهم على الخروج الى البرية • في الوقت الذي كان فيه الابيونيون يمثلون بوضوح مظاهر المسيحية الاولى التي اشتقت في اصلها من اليهودية •

لم يرد في مخطوطات البحر الميت ذكر لطائفة القرائيين الذين رفضوا تفسيرات احبار اليهودية للتوراة • وقد تبدى لبعض العلماء تقارب بين عبادة القرائيين وعقائدهم وبين التقاليد التي جاءت في الوثيقة الدمشقية ، ومخطوطات البحر الميت اللتين كتبتا قبلهما بزمن طويل • ومن المحتمل ان تكون وثيقة دمشق التي كتبت في القرون الوسطى ، ووجدت في جنيزة قديمة بمصر ، مما كتبه قراؤون في كنيس مجاور • ويعتقد « كهيل » أن وثيقة دمشق قد كتبت بتأثير القرائيين الذين تأثروا بالوثيقة الدمشقية •ولا يجوز تجاهل بعض الارتباط بين القرائيين والقمرانيين بناء على التشابه بين وثيقة دمشق ومخطوطات قمران (٢٥)•

ما هي الاختلافات بين مخطوطات قمران والتوراة الحالية؟

١ ــ يورد ميللر بروز في كتابه مخطوطات البحر الميت ما قاله الاب ميليك رئيس لجنة العلماء الدوليين الذيــن بحثوا ودرسوا المخطوطات في المتحف الفلسطيني بالقدس : ان مخطوطا صغيرا باللغة الارامية عنوانه صلات نابوتيدس كشف الخطأ المحتمل في التوراة • فهو يورد اسم الملك نابوتيدس كاخــر ملك بابلي ، متحدثا عن لجوئه الى واحة تيماء ، شمالي بلاد العرب مدة سبع أو ثمان سنين • مرض خلالها مرضا عضالا لم يشف منه الا بتدخل النبي دانيال ودعائه له بالشفاء • ويضيف الاب ميليك ، أن واضع سفر دانيال كان يعرف هذه الرواية الشائعة ولكنه أحب أن يلصق المرض بنبوخذ نصر الذي هدم الهيكل وسبى اتباع العقيدة اليهودية • فجعل المريض نبوخذ نصر وهو في الحقيقة نابوتيدس •

٢ ــ يقول الاستاذ جون الليغرو : وجدنا في محتويات الكهف الرابع قطعة مطولة تصف جمال السيدة ساره ، وصفا حسيا مفصلا يصف جميع أعضائها عندما أخذها فرعون لنفسه • وقد حذفت هذه العبارات من التوراة المتداولة الان •

٣ ــ عثر المنقبون على نص من سفر الخروج يقرب كثيرا من النص الوارد في الترجمة السبعينية ، خلاصته أن الانفس الخارجة من صلب يعقوب في مصر خمسة وسبعون ، كما هــي خمسة وسبعون في خطاب القديس اسطفانوس الشهيد الاول أما في التوراة الحالية فعددهم سبعون •

٤ ــ نص سفر صموئيل الذي وجد في الكهف الرابــع يعتبر في نظر الثقاة اقدم نصوص العهد القديم خطا · هواقرب الى نص الترجمة السبعينية منه الى نص التوراة الحالية ·

٥ ــ وجد في الكهف رقم ١١ كتاب المزامير كاملا· وفــي حالة جيدة جدا مكتوبا على جلد الماعز وهو يزيد بمزمور واحد عن المزامير المئة والخمسين المعروفة حتى الان · ويرد في هذا المزمور الزائد وهو الواحد والخمسون : انا اصغر اخوتــي ومن بينهم الرب يختارني لانقذ شعبي (٢٦) ·

مناهل وهوامش الفصل الثالث

(١) النص الماسوري : أو المسور : Massoretic

أي النص الرسمي المعتمد لدى اتباع العقيدة اليهودية المحافظين • واستمرت عملية تسوير أسفار العهد القديم حتى القرن التاسع بعد الميلاد • وكان اخرها في مدينة طبرية • « راجع : مخطوطات البحر الميت لميللر بروز ــ ص ٧٠ وهامش رقم ٣٩ في الفصل الاول » •

(٢) كتب أبو كريفا : الابوكريفا كلمة يونانية الاصل معناها المخفي او المستور • وانتقل معنى ابو كريفا الى الادب والعلم من حيث الاستعمال • فهي تستعمل لوصف الكتب المنحولة أو غير الصحيحة • وردت تفاصيل أوفى عنها في هوامش الفصل الاول •••

« راجع : بروتوكولات حكماء صهيون • المجلد الثاني ــ الجزء ٣ ــ ٤ • ص ٢٤ ، وهامش رقم ٢٨ في الفصل الاول »

(٣) الموسوعة الاثرية العالمية • ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ •

(٤) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، ص ٧٨ ــ ٧٩

(٥) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة • دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ص١٨ــ١٩

(٦) فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية · دار الكاتب العربي للطباعة والنشر · القاهرة ، ص ٢٦ ·

(٧) مخطوطات البحر الميت : ص ٢٩٤ ·

(٨) المرجع السابق ذكره : ص ٧٥ ـ ٧٧ ·

(٩) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٢٩ ·

(١٠) جنيزة : يرى الباحث سوكنيك وهو من اتباع العقيدة اليهودية ، ان الكهوف جنازات سترت فيها كل نسخة من التوراة وجب اهمالها · واشار الى درج نبوة اشعيا الذي وجد في كهف قمران الاول · والى الفوارق بين نصوصه والنصوص المألوفة ووجوب اهماله ووضعه في جنيزة · واضاف أنه لابد من جنيزة أو جنيزتين لكل كنيس ، تحفظ فيهما الاسفار المهملة· وتدفن بكل وقار واحترام بعد تراكمها بكثرة · والجنيزة في عبرية والعربية واحدة · فهي مشتقة من الثلاثي جنز ومعناه جمع وستر · ولا يخفى ان الجنز في العربية هو البيت الصغير من الطين · وان اصل المعنى في هذه المادة كلها هو الاخفاء والكنز · ورأى معظم العلماء غير ما راه سوكنيك ودل ماديكو · وقالوا ان هذه الدروج انما درجت في كهوفها ضنا بها وحرصا عليها · وانها لابد ان تكون قد خبئت في ظرف عصيب حل بأصحابها · ولف مخطوطات البردي بالكتان كالمومياءات ووضعها في جرار ذات اغطية محكمة لحمايتها من الرطوبة كان بهدف صيانتها · وقد لوحظ في المقبرة التاريخية الواقعة في منطقة القطا بالقرب من ملتقى فرعي النيل عند قناطر محمد علي في بقعة صخرية مغطاة بالرمال ، يرجع تاريخها

الى ٣٢٠٠ ق٠م وجود جثث رومانية محفوظة في لفائف من الكتان ، وموضوعة داخل اسطوانات فخارية كبيرة الحجم دليلا على احترامها ورغبة في حفظها لقداستها ٠

« راجع : مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ص ٢٢ ، والعرب واليهود في التاريخ ج ٢ ـ ص ٧٣٤ ، ومجلة المقتطف مجلد ١١٧ ، الجزء ٥ ، كانون الاول ١٩٥٠ ، ص ٣٩٩ » ٠

(١١) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٣١ ـ ٣٢ ، ٥٥ ٠ وحيثما وردت عبارة المخطوطة الدمشقية أو الوثيقة الدمشقية فانهما تعنيان شيئا واحدا ٠

(١٢) مخطوطات البحر الميت : ص١٥٥ ، هامش ص١٦٦

(١٣) المصدر السابق : ص ١٨٧ ـ ١٩٠ ٠

(١٤) جورج ابو سعدي : يوحنا المعمدان رفض اليهود قبل المسيح ٠ مجلة صدى الارز ٠ بيروت ، العدد ١٧ عام ١٩٧٠ ص ٤٧ ، ٦١ ٠

Menahem Mansoor:
The Dead Sea Scrolls
Leiden E.J. Brill, 1964. P. 150 - 152.

(١٧) مخطوطات البحر الميت : ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ٠

(١٨) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص٧٤ـ٧٥

(١٩) مخطوطات البحر الميت ٠ ص ١٩٦ ٠

(٢٠) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٥٦ ٠

(٢١) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٣١ ٠

(٢٢) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية : ص ١٧٣
وترد فيها ترجمة القرقساني Kirkisani مصححة الى القرقشاني : أبو يوسف يعقوب بن اسحق القرقشاني ، عراقي : وكانت العراق موطن القرائيين • وهو على مذهب عنان والنهاوندي • وكتابه « الانوار والمراقب » في معظمه تاريخ للفرق اليهودية والرد على دعاواها • وكان من حفاظ القرآن • واقتباساته منه كثيرة • ومع ذلك كتب كتابا « في افساد نبوة محمد » • ادلته فيه متهافتة ساقطة •

وللاستزادة عن عقائد القرقشاني وتعاليمه يمكن مراجعة كتاب الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية لمؤلفيه علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني ص ٢١ ، ١٢٦ •

(٢٣) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٣١ •

(٢٤) مخطوطات البحر الميت : ص ٢٩٠ •

(٢٥) كليمانوس • عالم يوناني اعتنق المسيحية ودافع عنها في الاسكندرية حتى مماته ١٧٠ ــ ٢٢٠ م • ومع ذلك لم تدخل كتاباته ضمن الاسفار السبعة والعشرين التي تتقبلها جميع الطوائف المسيحية •

(٢٦) مخطوطات البحر الميت : ص ٢٩٠ •

(٢٧) المرجع السابق : ص ٣١٢ •

الفصل الرابع

التوراة الهيروغليفيّة

والسبعينية والسامرية والقرائية

اللغة الوطنية وثيقة حضارية تسجل الوقائع والاحداث ومؤثراتها من خلال التطور النفسي والاجتماعي والسياسي والادبي الذي مرت به جماعة من الجماعات . واللغات التي دونت بها اسفار التوراة لاتباع العقيدة اليهودية تمدنا بدليل مادي على عدم استقرارهم الاجتماعي وتخلفهم البدائي ، وعلى استمرار وجودهم الهامشي على الضفاف المدنية والحضارية التي نزلوا عليها، وعاثوا خرابا بين روادها وبناتها . فتوراتهم كتبت باللغات المصرية والعبرية والارامية واليونانية واللاتينية واللادينو الاسبانية Ladino ولغات اخرى منها العربية وهذا لغويا ليس دليل عافية على اصالة لغة الاداب العبرية التي تبدلت مرارا . ذلك أن الترجمات خضعت لمؤثرات البيئة التي عاشت فيها تلك الاداب متأثرة غير مؤثرة ، الا في عقود السنين الاخيرة : حيث واكب الازدهار المالي والسياسي

والقانوني لديهم احياء للغة ميتة انحصر استخدامها فيمراسيم الطقوس الكنسية ·

المعهد القديم وأسفاره :

اعتمد اليهود في أسفارهم تسعة وثلاثين سفرا ، أطلق عليها في العصور المسيحية اسم العهد القديم « العتيق »

Ancient Testament تمييزا لها عن اسفار العهد الجديد

Nouveau Testament · وتنقسم أسفار العهد القديم

الى أربعة اقسام :

(Pentatequue: du grec « penta» - Cniq et «Teukhos» - livre)

القسم الاول : كتب موسى او الاسفار الخمسة او البانتاتيك ·

هي اسفارالتكوين والخروج والتثنية واللاويين والعدد المشتملة على التوراة في نظر اليهود ·

القسم الثاني : يسمى بالاسفار التاريخية · وهي اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ أتباع العقيدة اليهودية بعدنزولهم ارض كنعان،وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهموايامهم والحوادث البارزة في شؤونهم · وهي أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل والملوك واخبار الايام وعزرا وتحميا ·

القسم الثالث : يسمى اسفارالاناشيد أو الاسفار الشعرية · وعددها خمسة أسفار · هي أسفار أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيدالاناشيد لسليمان ·

القسم الرابع : يسمى اسفار الانبياء وعددها سبعة عشر سفرا هي :

اسفار اشعيا وارميا ومراثي ارميا وحزقيال والاثني عشر نبيا وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس « أو يونان » وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي « أو ملاخيا » •

الابوكريفا او الاسفار الخفية :

الى جانب الاسفار المقدسة نجد اسفارا ورسائل اخرى تعرف باسم : « كتوبيم اخرونيم » اي الكتابات المتأخرة • أو الابوكريفا • وقد جاءتنا محفوظة في الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية • ومن هذه الكتابات مايتصل بالتاريخ مثل الكتاب الثالث لعزرا • ومنها مايتصل بالادب مثل سفر سوسانا • ومنها مايتصل بالتعليم مثل كتاب المكابيين «١» •

وهذه الاسفار التي لم يدخلها اتباع العقيدة اليهودية في اسفار العهد القديم • اطلقوا عليها اسم الاسفار الخفية •
(Apocryphe du grec: apokruphos, de apokreup- tien = cacher).
وبعض هذه الاسفار الخفية غير مقدس ولا يعتمد لديهم • بينما بعضها الاخر مقدس اي معترف به لانه موحى به في نظرهم • ولكن احبارهم كانوا يرون وجوب اخفائه • وقرروا انه لايجوز اطلاع الجمهور عليه ، ولا انيدرج في اسفار العهد القديم والى هذا يشير القرآن الكريم اذ يقول في صدد اتباع العقيدة اليهودية : « وما قدروا الله حق قدره ، اذ قالوا ماانزل الله على بشر من شيء ، قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى

نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها، وتخفون كثيرا »
« الاية ٩١ من سورة الانعام » • ويقول الله : « ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب »
« الاية ١٥ من سورة المائدة » •

وقد نسب كثير من مؤرخي العرب للتوراة كتبا ليست من أسفار العهد القديم • كما ذكروا كتبا لا وجود لها بين الكتب المعتمدة ، ولا بين الكتب الخفية عند اتباع العقيدة اليهودية ، وأغفلوا ذكر طائفة من الاسفار المعتمدة ، وحرفوا كثيرا من أسماء ماذكروه منها • وقد اخطأ بعض مؤرخي العرب اذ قرروا أن جميع أسفار العهد القديم قد دونت باللغة العبرية »• «٢»

وقد « اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في ٨ نيسان عام ١٥٤٦ م بهذه الاسفار ورفعت من شأن معظمها • وتنحية هذه الاسفار عن العهد القديم ليس مرجعه الاقلال من قيمتها ، بل لانها وضعت في فترة متأخرة عن الزمن الذي اتفق على انه العصر الذي ختم فيه العهد القديم • وليس معنى هذا ان الزمن الذي امتد حتى ارتجز رسيس ، ثم تجاوزه فشمل عصر الاسكندر الاكبر قد روعي تماما ،فهنالك مثلا سفر دانيال الذي اصبح جزءا من العهد القديم ، في حين أن أمثال يسوع بن سيراح لم يلاق هذا التأييد • ويفهم من رواية تنسب الى عزرا انه اخفى مايقرب من سبعين سفرا وأظهر أربعة وعشرين فقط « العهد القديم » • وهذا يدل على انه توجد رسائل او أسفار سرية غير مباحة للجميع بل لطبقة خاصة لان مضمونها يجب أن يبقى

سرا خفيا • وفي أوائل القرن الثاني الميلادي وقف أحبار العقيدة اليهودية من الابوكريفا موقفا عدائيا مع رفضهم لها • وتغير تبعا لذلك مدلول لفظ الابوكريفا • واصبحت تلك الرسائل والاسفار بغيضة الى نفوسهم لايمسها المتدينون • ويروى أن ربي عقيبة « ١١٠ ــ ١٣٥ » قال في التلمود البابلي مامعناه : لامكان في العالم الاخر لن يقرأ الابوكريفا • والابوكريفا متنوعة المواضيع مختلفة العصور فمنها :

اولا ــ مايتصل بالتاريخ مثل الكتاب المكابي الاول •

ثانيا ــ مايعالج القصص التاريخي كالكتابين الثاني والثالث المكابيين • وسفر يوديث ، « سهوديت » أي يهودية •

ثالثا ــ الاساطير : طوبيث وسوزانا •

رابعا ــ الصلوات : منسى واساريا •

خامسا ــ الاغاني : المسماة بأغاني الرفاق الثلاثة في التنور

سادسا ــ كتب الغراء والنبوءة مثل سفر باروخ ورسالة ارميا •

سابعا ــ شعر الحكمة المنسوب ليسوع بن سيراح وسليمان •

فالا بوكريفا من هذه الناحية مفيدة لانها تعيننا على فهم تاريخ اتباع العقيدة اليهودية وعقليتهم في الفترة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد الى أواخر القرن الاول الميلادي • وهي تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهدين القديم والجديد « ٣ »

وقد ظهرت حديثا سنة ١٩٧٠ ترجمة للكتاب المقدس كله « قام بها جماعة من اليهود المنتمين الى هيئات دينية يهودية متمركزة في انجلترا . وتختلف هذه الترجمة عن الترجمات الانكليزية السابقة في انها صيغت بأساليب اللغة العادية ، لابأساليب اللغة الدينية التقليدية القديمة ، وفي اتسامها بالتحرر الكامل من قيود والتزامات جميع الترجمات السابقة ، وفي تصرفها في معنى ومغزى بعض النصوص بالانحراف بها الى غير اتجاهها الاصلي ، او باضافة امور اخرى اليها ، وفي اشتمالها على اثني عشر سفرا من الاسفار المعروفة بالاسفار الخفية » .«٤»

التوراة الهيروغليفية :

الدكتور فؤاد حسنين علي في كتابه التوراة الهيروغليفية له راى طريف في هذه اللغة العبرية التي يرى أتباع العقيدة اليهودية ان كتبهم المقدسة قد كتبت بها وحدها منذ الازل ،وانه لايجوز كتابتها بسواها من اللغات لانها لغة وحي السماء ، وبرايه أن اللغة العبرية التي « تعنينا هنا » ، لم تعرف بهذا الاسم في التوراة او عند الانبياء او الكتب . بل جاءتنا تحت اسم الكنعانية او اليهودية . وزعم أتباع العقيدة اليهودية ان لغتهم هي لغة التوراة . وانها اللغة التي كلم الله بها موسى فاذا كان الامر كما يعتقد الكثيرون من اتباع العقيدة اليهودية وغيرهم من أبناء الملل الاخرى ، وجب أن يكون موسى عليه السلام قد عاصر اللغة العبرية وتعلمها واتقنها . ولكي نفصل في هذه المسألة المختلف فيها ، نرجع الى اللغة العبرية ونؤرخ لظهورها من ثنايا التوراة .

نعلم ان اتباع العقيدة اليهودية قبل اقتباسهم للعبرية من الكنعانيين « الذين تسللوا الى ارضهم على يد يوشع بن نون فتى موسى ، والذي تولى قيادة اتباع العقيدة اليهودية بعد وفاته » واختلاطهم بالكنعانيين ، كانوا يتكلمون لغة الشعوب التي نزلوا عليها • وكان هذا حالهم في شرق الجزيرة العربية وشمالها حيث منطقة النفوذ الارامي التي لم تكن الارامية لديهم الا لهجة عربية شمالية او قريبة منها • وفي مصر تكلموا اللغة المصرية • واذا علمنا أن موسى ولد في مصر ونشأ في مصر وتثقف ثقافة مصرية وتدرج في مختلف الوظائف العسكرية حتى اصبح ضابطا في الجيش المصري كما جاء في تاريخ يوسيفوس فلامينوس ، وانه لم يخرج الى سيناء المصرية مع من خرجوا اليها الا ليواصل حياته المصرية بعيدا عن استبداد الفرعون ، ولم ير فلسطين ، وتوفي قبل أن تظهر العبرية — والتي هي خليط من الارامية والكنعانية وكثير من اللغات الاخرى — الى الوجود بأكثر من قرن ، فان لغة موسى ولاشك كانت اللغة المصرية القديمة •وقد يتساءل احدنا،ولكن لماذااختار اتباع العقيدة اليهودية العبرية واعلنوها لغةمقدسة؟ والجواب : لان هذه اللغة هي الاولى التي اختصوا بها • فمن قبل تكلموا الارامية والفارسية والمصرية القديمة • وعلى أرض كنعان كونوا لانفسهم مزيجا من هذه اللغات التي رطنوا بها في مختلف الاقطار التي نزلوا عليها • ومن ثم شرعوا يدونون بها ادبياتهم الدينية المستمدة من الاساطير المصرية القديمة او البابلية الاشورية مثل قصة الخلق والطوفان واسطورة برج بابل •

اذن فصحف موسى وتوراته لم تدون بالعبرية بل بالمصرية القديمة وأرجح أن هذه التوراة وثيقة الصلة بالعقيدة المصرية ، التي بشر بها اخناتون · وان موازنة ماوصلنا من العقيدة الاتونية ، وما جاءنا مبعثرا في العهد القديم تأخذ بيدنا الى صحف موسى وتوراته · «٥» ويبدو أن هذا الراى للدكتور فؤاد حسنين علي يسلط ضوءا على العلاقات بين الديانات الشرقية القديمة ، ولكنه يظل رايا في سياق الدراسة حتى تتبين الحجة العلمية الدامغة في ذات الموضوع · ذلك أنه في الوقت الذي يرى فيه الدكتور حسن ظاظا أستاذ اللغات السامية في جامعة الاسكندرية أن اتباع العقيدة اليهودية في مصر كانت لغتهم اللغة المصرية · وكانوا اميين لايقراون ولايكتبون · وان كان بينهم من يحسن القراءة والكتابة غير النبي موسى فكان ذلك بالكتابة الهيروغليفية المصرية · ولكن هذا لا يعني أنهم لم يتعرفوا على كنعان ، اذ كان الاتصال بين المصريين والكنعانيين قائما منذ اقدم العصور · وذلك بحكم الحدود المشتركة ، ونتيجة لفتوحات المصريين في الشرق ، وسيطرتهم السياسية على كنعان ·

وردا على ذلك فان الدكتور احمد سوسه يقرر انه « لم يعثر على أي باحث يشير الى هذه الحقيقة ، التي تقول : ان لغة اليهود كانت عندما جاءوا الى فلسطين اللغة المصرية الهيروغليفية · وان كانت الدلائل كلها تشير على أن التوراةالتي رويت ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد كانت بلغة عبرية متطورة غير التي كان يتكلم بها موسى اما على عهد موسى نفسه فكل شيء في التوراة يدل على وجود صحف مكتوبة وربما

منقوشة على الحجر ، معتمدة على الكتابة التصويرية الهيروغليفية أو الكتابة المقطعية المسمارية » ٠«٦»

وتقرير الاستاذ أحمد سوسه تعوزه الدقة بشأن آراء الدكتور حسن ظاظا بعدما أوردنا آراء الدكتور فؤاد حسنين علي في التوراة الهيروغليفية ٠

التوراة السبعينية أو اليونانية :

جاء في « تاريخ سورية » للمطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت الماروني بصدد ترجمة التوراة الى اليونانية المعروفة بالسبعينية : أن كاتبا يونانيا اسمه أرستاي كان عاملا عند « بتلمايس فيلادلفوس » كتب رسالة مطولة انبأنا بها أن هذا الملك اشار عليه « ديمتريوس فالر » رئيس مكتبة بترجمة شريعة اتباع العقيدة اليهودية فصوب مشورته وكتب الى اليعازر رئيس احبار اليهود أن يرسل اليه رجالا خبيرين بشريعة اليهود ، واهلا لان يترجموها الى اليونانية ، فبعث اليه اليعازر اثنين وسبعين رجلا من علمائهم ٠ فترجموا له التوراة في اثنين وسبعين يوما في جزيرة فاروس التي كانت عند مدخل مرفأ الاسكندرية ثم الحقت باليابسة واقيمت بها منارة وأن باقي الاسفار التي تشتمل عليها الترجمة السبعينية الان قد ترجمها غير اولئك العلماء ،والحقوها بترجمتهم للتوراة رغبة في افادة اليهود الذين كان اكثرهم يجهل العبرانية أو لا يحسن ادراكها ٠ وقد أثبت المحققون ان بين ترجمة التوراة وترجمة غيرها من الاسفار في السبعينية اختلافا في استعمال الالفاظ وتركيب الجمل والنسق ٠ وذلك يعني أن هذه الترجمات

لم تكن كلها في زمن واحد • ولم يترجمها مترجم واحد • فترجمة التوراة كانت نحو ٢٧٠ ق•م• وترجمة سائر الاسفار على التعاقب • وقال بعض المحققين انها لم تكمل كلها الا على بتلمايس محب امه الذي ملك من سنة ١٨١ الى سنة ١٤٦ «٧»

ولما ظهرت المسيحية اتخذت من الترجمة السبعينية « دليلا على صحة العهد الجديد فاستنكر اليهود الترجمة السبعينية وظهرت تراجم يونانية اخرى مثل ترجمة اكويلا Aquila في منتصف القرن الثاني الميلادي • واحسن منها ترجمة ثيودوثيون• وترجمة سيماخوس Symmachus في اواسط القرن الثاني واوائل القرن الثالث الميلادي •

ومن النسخ الهامة التي حققها اوريجينيس تعرف باسم هكسبلا Hexapla أي المسدسة • كما الف اوريجينيس نسخة اخرى باسم تترابلا أي الرباعية •

ومن الجدير بالذكر ان الكنيسة المسيحية استخدمت منذ القرن الرابع الميلادي الترجمة السبعينية • اذ ترجمها الاسقف بولس عام ٦١٦ ــ٦١٧ م الى السريانية • كذلك ترجمت السبعينية ترجمة اخرى مبسطة الى السريانية تعرف باسم بشيتا ، والى اللاتينية المعروفة باسم فلجاتا Vulgata فيما بين ٣٩٠ ــ ٤٠٥ م : وهذه الترجمة التي انجزها هيرونيموس Hieronymus ، نافست الترجمة اللاتينية القديمة التي تمت في القرن الثاني الميلادي والمعروفة باسم فتوس ايتالا Vetus Itala • وهناك ترجمة ارمنية ترجع الى القرن الخامس واخرى قوطية ترجع الى القرن الرابع

والقبطية الصعيدية حوالي ٣٠٠ م ٠ ثم الترجمة القبطية البحيرية حوالي القرن السابع ، والحبشية القرن الثالث عشر والعربية في القرن السابع وغيرها من التراجم » ٠ «٨» ٠

وجاء في كتاب« « مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين » اننا « لم نسمع بترجمة عربية قبل الترجمة التي ترجمها يوحنا اسقف سفيل من اعمال اسبانيا سنة ٧٥٠ م عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية التي درجت في اسبانيا من الجيل السابع ٠ وقد ترجم الحاخام ساعد جدعون ، العلم الشهير في مدرسة بابل في الجيل التاسع كل العهد القديم او اكثره لمنفعة اتباع العقيدة اليهودية الذين كانوا يتكلمون بالعربية ٠ فطبع جزء من هذه الترجمة وهو الاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ بالاحرف العبرانية ٠ ثم طبعت التوراة في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧بالاحرف العربية ٠ ثم طبعت في اوروبا مجددا سنة ١٦٢٢ ٠ وقد ترجمها ايضا رجل سامري يسمى ابو سعيد بين الجيل العاشر والثالث عشر ولكنها لم تطبع مع انه يوجد منها نسخ مخطوطة في انكلترا وباريس واماكن اخرى من اوروبا ٠ وقد طبعت ايضا في باريس سنة ١٦٤٥ ٠وفي لندن سنة ١٦٥٧ ترجمت النبوات التي ترجمها من السبعينية رجل اسكندري من اتباع العقيدة اليهودية ، اثناء الجيل العاشر »٠ «٩»

التوراة السامرية واختلافها عن العبرانية :

نشر الدكتور احمد حجازي السقا التوراة السامرية

باللغة العربية ، التي ترجمها عن العبرانية في مدينة نابلس الفلسطينية الكاهن السامري أبو الحسن اسحق الصفوري . وقد صور مخطوطتها أصلا ونشرها الكاهن السامري عبد المعين صدقة : بمشورة البروفيسور زهير صالح النشار من جامعة برلين .

جاء في تعريف التوراة السامرية : أن أتباع العقيدة اليهودية افترقوا بعد موت سليمان الى فرقتين ، سميت الفرقة الاولى بالعبريين ، مقدسة جبل صهيون لان ربهم قدسه وعظمه . وسميت الفرقة الثانية بالسامريين ، مقدسة جبل جرزيم لان ربهم قدسه وعظمه . وتوراة الفرقة الاولى تعرف بالتوراة العبرانية ، وتوراة الفرقة الثانية تعرف بالتوراة السامرية . «١٠»

وبعد « السبي البابلي » وضع الكهنة المأسورون في بابل توراتهم باللهجة المقتبسة عن اللغة الارامية . لذلك صارت تعرف بالتوراة الارامية . وقد استعملوا الخط المسمى بالخط المربع الذي اقتبسوه من اقدم الاقلام الارامية بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد واحتفظوا به الى يومنا هذا . ويسمى الان بالخط الاشوري المربع . وهذه بالطبع غير لغة موسى المصرية . ومضمون هذه التوراة غير مضمون توراة موسى . فيصح تسمية هذه التوراة بتوراة الكهنة . لانهم أضفوا عليها القدسية وفرضوها على اتباعهم على عهد عزرا كاتب شريعة اله السماء كما تلقبه التوراة . واقدم ماوصل الينا من نصوص هذه التوراة مخطوطات البحر الميت في وادي

قمران التي ترجع الى القرنين الثاني والاول قبل الميلاد . » « ١١ »
وقد كتب عزرا التوراة على أساس المبادىء التالية :

أولا ـ الله الواحد ليس للعالمين ، بل لاتباع العقيدة اليهودية فحسب .

ثانيا ـ التوراة خاصة باتباع العقيدة اليهودية فحسب .

ثالثا ـ المسيح المنتظر سيأتي ربما في أتباع العقيدة اليهودية .

بعدها قال العبرانيون : نحن على حق . وقال السامريون بل نحن وحدنا على الحق لانكم حرفتم وغيرتم وزدتم وأنقصتم من توراة الله . وبسبب هذا العداء كانوا لايتعاملون معا . وقد آمن بدعوة المسيح عيسى بن مريم كثير من اليهود السامريين في حياته ، ولم يطلبوا قتله .

ومع هذا حمل النصارى التوراة العبرانية لان المسيح من اليهود العبرانيين ولم يلتفتوا الى التوراة السامرية ، لغنى التوراة العبرانية عليها .

واتباع العقيدة اليهودية من سامريين وعبرانيين متفقون في أمور ومختلفون في أمور . متفقون على وحدانية الله الخاص بهم وانه يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ، وانه سيجازي الناس على اعمالهم وانه انزل التوراة للهداية وانه سيرسل نبيا مثل موسى عليه السلام .

ومختلفون في أمور أهمها :

أولا ــ أسفار الانبياء : فالعبرانيون يعترفون بها والسامريون يرفضونها ٠

ثانيا ــ النص على البعث ٠ فالعبرانيون لم يصرحوا به في توراة موسى ، بل في أسفار الانبياء ٠ وصرح به السامريون في توراتهم ٠ ويستمر الخلاف حول البعث بالجسد والروح او بالروح دون الجسد ٠

ثالثا ــ يقدس السامريون جبل جرزيم ، ويقدس العبرانيون جبل صهيون ٠

وبسبب تغير الظروف السياسية والاجتماعية تغيرت نظرتهم فيما بينهم ٠ خاصة بعد القرن السابع للميلاد بفضل الفتح الاسلامي ٠ فاستفاد الطرفان من تسامح المسلمين تجاه معتقد الجماعات التي عاشت في مجتمعهم ٠

والقول بأن الكتابة السامرية تنقصها ثلاثة أحرف لاصحة له ٠ وكل ماهنالك ان السامريين احتفظوا بالخط القديم في حين اقتبس الاخرون الخط الاشوري المربع بعد السبي البابلي ٠ وقد عني عدد كبير من الرحالة الاوربيين في القرون الوسطى والحديثة بأخبار السامريين ٠ ونشر عالم ايطالي النص الاصيل لنسخة التوراة السامرية التي كان قد عثرعليها في دمشق٠فأثار نشرها اهتمام المحققين ويقيم ابناء هذه الفرقة اليوم في نابلس الفلسطينية ٠

والتوراة السامرية مكونة من خمسة أسفار هي التكوين الخروج ، اللاويين « الاخبار » ، العدد ، وتثنية الاشتراع ٠

والعبرانيون يقدسون أسفار الانبياء مع الاسفار الخمسة .

ونصارى الارثوذكس والكاثوليك الى اليوم يقدسون الاسفار الخمسة اليونانية . بالاضافة الى اسفار الانبياء الاربعة والثلاثين . والاسفار الزائدة هي طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ والمكابيين الاول والثاني وتتمة دانيال وأستير » . «١٢»

توراة القرائين ورفضهم للتلمودين الاورشليمي والبابلي :

تتغاير نصوص التوراة المتداولة اليوم حتى بين طوائف اتباع العقيدة اليهودية الواحدة . فقد « نهى الحاخام الرباني البيزنطي كبالي أن يعلم أحد الربانيين التوراة لقرائي ، كما حرم حرم على الربانيين أن يقراوا في نسخة من التوراة كتبها احد القرائين حتى ولو كانت صحيحة على أساس أنهم غير طاهرين «١٣» والتوراة وان كانت عندهم خمسة أسفار : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية فان لها ثلاث نسخ :نسخة السبعين للربانيين ونسخة القرائين ونسخة السامرة وهي متخالفة لاتقر طائفة منهم بنسخة الطائفتين الاخريين ولاتقر طائفة القرائين خاصة بالتلمود أصلا » «١٤» ونسخة توراة القرائين التي يتقيد بنصوصها جماعة خاصة من اتباع العقيدة اليهودية نشأت بداياتها بعدما طرد هدريان بشكل نهائي اتباع العقيدة اليهودية من القدس عام ١٣٥ م . والتجأ بعضهم الى طبريا ، التي اخذوا يكتبون فيها تقاليدهم وشروح كتبهم الدينية في

كتاب سموه التلمود الفلسطيني في عشرين مجلدا انجزوه في القرن الرابع . ثم سافرت جماعة منهم الى العراق ، حيث كتبوا التلموذ البابلي في القرن الخامس » . «١٥»

« وأصل كلمة التلمود من العبرية لاماد أي يعلم ، ويقسم الى قسمين المشنا أي النص أو المتن . وهي عبارة عن مجموعة تقاليد أتباع العقيدة اليهودية في حياتهم . والجمار أي التفسير والشرح وهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت في المدارس العالية بعد الانتهاء من وضع المشنا . والتلمود اسم جامع للمشنا والجمارا . ويزعمون أن هذه التقاليد والتعاليم القاها موسى عليه السلام شفاهة على اتباعه ثم انتقلت للانبياء ومنهم الى المجمع العلمي الاعلى (السنهدرين) » «١٦» وخلفائهم حتى القرن الثاني الميلادي . ويعتبر أكثر اتباع العقيدة اليهودية التلمود كتابا منزلا ويضعونه في منزلة التوراة .

والجماعة التي دونت التلمود الفلسطيني في مدينة طبريا ، تنتمي لفئة « التنائيم » وهي كلمة آرامية ، جمع ثناء أي معلم .

وقد استغرق وضع المشنا حوالي مائتي سنة وتم جمعها بعناية الجد الاكبر يهوذا بن شمعون « الربن الاقدس » سنة ٢٠٠ م . وهو الراب الاكبر يهوذا بن الربن عمليال سابع رؤساء المجمع الاعلى ، السنهدرين . ثم نشأت في فلسطين فئة ثانية من الربانيين تعرف بالامورائيم اي الاساتذة المحدثون الذين اخذوا يعلقون ويشرحون المشنا . وقد جمعت هذه

التعليقات والشروح في مجموعة اصبحت تعرف بالتلمود الاورشليمي • وفي العراق اتموا الشروحات وتفصيل الموضوعات في التلمود البابلي وبانتهاء دور الامورائيم نشأت فئة السبورائيم اي الاساتذة الشارحون تركزت اعمالهم على تنظيم أبواب التلمود وفصوله • وجاء بعدهم الغاؤونيم ، وهي جمع غاؤون اي الرابيين الذين تولوا تعليم التلمود واصدار الفتاوى الدينية لاتباعهم •

وفي التلمود تأكيد لمبدا الاستعلاء والتفوق العنصري لاتباع العقيدة اليهودية على بقية شعوب الارض وجعل الناس عبيدا لهم باعتبارهم شعب الله المختار • وفي هذا يقول العلامة ول ديورانت في قصة الحضارة ان الربانيين والحاخامات اخذوا يفسرون التوراة حسب اهوائهم بالشكل الذي يرضي غرائزهم الشريرة ونزعتهم الى الاستعلاء على بقية اجناس البشر • وكانوا حريصين على ان لايطلع على التلمود الا من كانوا يأمنون جانبه من غير ملتهم ، خوفا من ثورة العالم المسيحي ضدهم • فقد اخفوه اربعة عشر قرنا منذ ان وضعه حاخاموهم وفي سنة ١٢٤٣ م ، أمرت الحكومة الفرنسية بأحراق التلمود علنا بعد كشف مايحتويه من عبارات الطعن والاهانة ضد الاغيار من الناس وضد المسيحية بوجه خاص • « ١٧ »

« وقد طبعت النسخة البابلية من التلمود سنة ١٥٢٠ في البندقية كاملة في ١٢ مجلدا ضخما • وهي اضبط الطبعات واتقنها وتسمى طبعة بومبرج • واما النسخة الاورشليمية فقد طبعت مرتين ، الاولى في بومبرج سنة ١٥٢٢ م ، والثانية في

كراكو سنة ١٦٠٩ م · أما ماطبع في مدينة امستردام سنة ١٦٤٤ ، وفي سلزباج سنة ١٧٦٩ ، وفي فارسوفيا سنة ١٨٦٣ م ، وفي مدينة براج سنة ١٨٣٩ م فكلها مشطورة أي ناقصة » · «١٨»

وقد « أحرق التلمود في ايطاليا سنة ١٥٥٣ · ويبلغ التلمود في اللغة الانكليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ٣٦ مجلدا · وقد نقل الجزء الاول الى العربية سنة ١٩٠٩ والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظرا لما حذفه المتأخرون من عباراته » · «١٩»

طائفة القرائين ورفضهم للتلمودين البابلي والاورشليمي

أخطأ الدكتور عبد المنعم الحفني في موسوعته النقدية للفلسفة اليهودية حين ذكر في تعريف واحد ان « ظهور القرائين واكب ظهور المسيح وانهم المنشقون الاوائل الذين تحدثت عنهم لفائف المخطوطات التي عثر عليها في كهوف البحر الميت وان الربانيين يقولون ان ظهور القرائين كان بتأثير تعاليم القرآن والمتكلمين المسلمين » « ٢٠ » فكيف يتفق قبول ظهور جماعة واحدة للوجود بفارق سبعة قرون ؟

والمرجح ان صموئيل بن حسداي راس الجالوت «٢١» بعد وفاته في بغداد ، خلف فراغا قياديا لموته دون خلف له · ولقي ترشيح عنان بن داود كخلف له مناهضة من بعض الاحبار وتأييدا من بعضهم الذين نصبوه رئيسا مقدما عليهم ، وتنادوا علنا بنبذ التلمود مطلقين على انفسهم اسم القرائين اي قارئو

التوراة دون التلمود ، فتأثر الربانيون من حركة عنان التي آذنت بالقضاء على نفوذهم فشكوه الى الخليفة العباس أبي جعفر المنصور « كانت خلافته من سنة ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م » الذي أمر بسجنه • وقد التقى اثناء وجوده في السجن بالامام أبي حنيفة النعمان ، الذي كان المنصور قد سجنه لاعتذاره عن تولي القضاء في دولته • وروى عنان قصته على الامام والتمس مشورته • فنصحه الامام بأن يقول انما اراد تطهير العقيدة اليهودية من شوائب التلمود الذي وضعه الاحبار ، وانه لم يقل بنقض شريعة موسى ، لذلك أطلقه المنصور على أن لايبقى في بغداد • فغادرها عنان الى القدس • حيث بنى كنيسا لجماعة القرائين ، بقي قائما حتى الحروب الصليبية • وفيها الف كتابين هما الفرائض والفذلكة دعا فيهما الى تحرير التوراة من قيود التلمود • ومما يؤثر عنه قوله : لو كنت احمل ارباب التلمود في بطني لقتلت نفسي وقتلتهم معي » «٢٢» •

وقد « الغى عنان جميع التشريعات التي قررها الربانيون مستندين في تقريرها الى اسفار التلمود • وادخل على كثير من تشريعاتهم التي استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها من اجتهاده الخاص في فهم نصوص العهد ومن اهم التشريعات التي خالف فيها الاحكام المقررة عند الربانيين تحريمه لزواج العم من ابنة اخيه وزواج الخال من ابنة اخته وسوى بين الابن والبنت في الميراث وقرر أن الزوج لاحق له في تركة امراته • وعمل مريدوه وفقا لشعار : اتركوا تعاليم التلمود » • «٢٣» وقد انتشرت دعوته في مصر والشام وتركيا وايران وبعض أجزاء من روسيا وأوربا الشرقية • واخذ

القراؤون يدققون نصوص التلمود ويتعمقون في تحليلها علميا بقصد تفنيدها وفضحها . وقد رجعوا الى الاديان السماوية التي شجبت العقلية التلمودية كالانجيل والقرآن» «٢٤» لتأييد مواقفهم ووجهات نظرهم . ومن الجدير بالملاحظة ان عنان بن داود « لم يهدم التقليد الشفوي تماما ولم يرفض كما فعل الصدوقيون من قبل ، أي تفسير من اي نوع لمذهبهم . بل عمل فحسب وفق الفكرة التي ترى أن النصوص مكتوبة او شفوية يجب أن تكون منسجمة مع العقل . أو بمعنى ادق عدم تعارض النقل مع العقل . وكان القراؤون رواد ابتداع اول مذهب لاهوتي منسق وعقلي في العقيدة اليهودية ، مؤيدا بالنظر الفلسفي متخذين من آثار المعتزلة الفكرية زادا ومثالا لهم واسمين أنفسهم بالمتكلمين . ويقول موسى بن ميمون في « دلالة الحائرين » أن القرائين استعاروا حججهم من المتكلمين المسلمين .

أما القضايا الرئيسية التي قام القراؤون بالدفاع عنها فهي : أن المادة الاولى ليست قديمة . وان العالم مخلوق وبالتالي فان له خالقا . ان هذا الخالق وهو الله لابدء له ولا نهاية وانه غير جسم ، ولا تحيط به حدود المكان ، ذلك ان علمه يحيط بكل الاشياء . وانه يفعل بارادة حرة متوافقة مع سموه وقدرته وتنزهه وهذه القضايا المعتزلية ذهب القراؤون وراءهم فيها . وتابعوهم فيها متابعة تامة . واستفاد الربانيون المناهضون لهم من فلسفة العصر اي فلسفة المتكلمين المسلمين وحاول متكلمهم الاول سعديا بن يوسف الفيومي اقامة بنائهم الديني باستخدام العقل والبراهين . مترجما التوراة الى

العربية • وقد لاحظ الباحث فيدا أن الامام أبا الحسن الاشعري تزامن ظهوره مع سعديا الفيومي « ٨٩٢ ــ ٩٤٤ » • وان الاشعري الذي كان معتزليا قام بثورة ضد المعتزلة ، واعتنق مذهب اهل الحديث • ثم حاول ان يثبت مذهبه بالعقل ، اي انه قرر وضع النص اولا ومن ثم اعمال العقل فيه • وقد استفاد سعديا من هذا الموقف وذهب مذهبه مع احتضانه لكل المذاهب المعتزلية فيما بعد • اي انه اتخذ منهجه عن الاشعرية ، ومادته عن المعتزلة • وقد اعتبره اتباع العقيدة اليهودية فيلسوف التوراة على الحقيقة » • «٢٥» وقد نجح في المقابل عنان فيما « اخفقت فيه الطوائف الاخرى • ولكنه فتح باب الاجتهاد في فهم النصوص • وسمح لكل قادر على ذلك ، ان ينشئ فرعا خاصا في نطاق الاصول العامة • فترتب على ذلك حدوث الانقسام في فرقة القرائين نفسها ، وانشعبت منها طوائف كثيرة أشهرها طائفة بنيامين بن موسى وطائفة الاكبرية • ويروي لنا التاريخ كثيرا عن الخصومات التي حدثت بين طائفتي القرائين والربانيين في البلاد التي يوجد فيها اتباع لكليهما • وحكمت كلتاهما على الاخرى بالكفر واستقلت كلتاهما بمعابد خاصة لايسمح بدخولها لغير اتباعها • واختلفت مواقيت الاعياد عند كلتيهما » • «٢٦»

« واستمرت حركة القرائين العلمية نشيطة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادي • ثم تقلص ظل القرائين مع انتشار اليهود الربانيين بأعداد كبيرة في أوروبا وامريكا وكثير من البلاد التي استعمرها الغرب في افريقيا واسيا • وظل القراؤون منكمشين في الشرق • وقد كان لظهور الصهيونية

واتساع نفوذها ، الاثر الكبير في اخماد حركـــة القرائــــين وتقليص ظلهم · لان الصهيونية كانت ترى في طائفةالقرائين اكبر خطر يهدد مشروعها السياسي الاستعماري الذي خطتـــه مع الربانيين لاستيطان فلسطين · وفي ذلك يقــول الدكـــتور حسن ظاظا في كتابه الفكر الديني الاسرائيلي ص ٢٩٥ :« انه كان للقرائين في تركيا وروسيا ومصر نشاط ملحــوظ ضـــد الصهيونية » · «٢٧» · وهذه زاوية فكرية يمكن للباحثـــين العرب التعمق في أساسها التاريخي وظواهرها السياســـة العقيدية لنقض الوعد التوراتي الذي تتمسك به الصهيونيـــة السياسية تضليلا وبهتانا · وهذه الدعوة ليســـت بديلا ولا نقيضا عن الدعوة الى مزيد من العنف المسلح لازالة القهـــــر الاستيطاني والاستعلاء الصهيوني التلمودي العنصري الموجه ضد الانسان العربي خاصة والحضارة الانسانية على وجـــه العــــموم ·

ولنغرس الكلمة حيث تنفع لاستئصا لرواسب الفكـــــر الاسرائيلي من النفسية العربية والانسانية ولنجتثه بالطلقـــة لاجتثاث المستوطنات والمستوطنين عن الارض الفلسطينيـــة والعربيـــــة ·

مناهـل وهوامش الفصل الرابع

« ١ » التوراة الهيروغليفية : ص ١٥

« ٢ » علي عبد الواحد وافي : الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام • دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة عام ١٩٧١ ـ ص ١٢ ـ ٢١ •

« ٣ » فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة • ص ١٩٢ •

« ٤ » الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ٢٠

« ٥ » التوراة الهيروغليفية ، ص ٤ ـ ٨ ، ٥٩ •

« ٦ » احمد سوسه : اللغة العبرية وصلتها باليهودية • مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد • العدد ٢١ ، اذار ـ نيسان ١٩٧٧ حتى ٨٨ ، ٩٥ •

« ٧ » يوسف الدبس : تاريخ سورية ـ المطبعةالعمومية الكاثوليكية سنة ١٨٩٣ ، ملحق الجزء الاول الخاص بتاريخ شعوب سورية القدماء ، ص ١١٣ ـ ١١٦ •

« ٨ » التوراة الهيروغليفية ، ص ٢٧ ـ ٢٨ •

« ٩ » مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين ، ص ٢١ ـ ٢٣ •

« ١٠ » احمد حجازي السقا : التوراة السامرية • دار الانصار القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١ ـ ٥ •

« ١١ » أحمد سوسة : اللغة العبرية وصلتها باليهودية مجلة مركز الدراسات الفلسطينية · بغداد · العدد ٢١ اذار ــ نيســان ١٩٧٧ صــ ٩٠ ·

« ١٢ » التوراة السامرية : ص ٣٢ ·

« ١٣ » العرب واليهود في التاريخ : ج ١ ، ص ٣٠ ·

« ١٤ » موسى بن ميمون : المقدمات الخمس والعشرون من دلالة الحائرين ، مطبعة السعادة·القاهرة١٣٦٩هـ ــ ص١٥

« ١٥ » مخطوطات البحر الميت : ص ٤٤ ·

« ١٦ » السنهدرين : يكتب خطأ بالميم « سنهدريم » · هو المجلس العلمي الديني الاعلى عند أتباع العقيدة اليهوديـــة وأصل الاصطلاح يوناني معناه المجلس·ظهر زمن خلف الاسكندر في القدس · وقد بقي السنهدرين قائما في العهد الرومانـــي حتى الغائه سنة ٧٠ م ·

وعندما هدمت القدس وهيكلها ، انتقل اعضاؤه الى بلدة يبنة قرب يافا ، ومن يبنة الى طبريا · وفي عهد الامبرطـــور انتونيسنس بيوســ ١٣٨ ــ ١٦١ م · أعيـــد تشـــكيل السنهدرين في الجليل · وقد بقي منصب رئاسة السنهدريـــن وراثيا في عائلة هليل اكثر من ثلاثة قرون · « راجع العـــرب واليهود في التاريخ لاحمد سوسه ج ١ ، ص ٢٦٤ » ·

« ١٧ » العرب واليهود في التاريخ ج ١ ص ٢٩٤ــ٢٩٨

« ١٨ » المقدمات الخمس والعشرين من دلالة الحائرين : صـــ ١٥ ·

« ١٩ » العرب واليهود في التاريخ : ج ١ ، ص ٢٩٩ ٠

« ٢٠ » عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ٠ دار المسيرة بيروت ، ١٩٨٠ ٠ ص ١٧٢ ٠

« ٢١ » راس الجالوت : اصطلاح عربي اطلق على رئيس الطائفة اليهودية في دار الاسلام « الدولة الاسلامية » واصل اللفظة آرامي يعني راس الجالية ٠ اما اتباع العقيدة اليهودية فكانوا يطلقون عليه لقب ريش جالوتا ٠ ويرجع تنظيم جماعات اتباع العقيدة اليهودية تحت رياسة راس الجالوت الى القرنين الثاني والثالث الميلاديين ٠

« راجع اليهود والعرب في التاريخ ص ٢٩٥ » ٠

« ٢٢ » مخطوطات البحر الميت : ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠

« ٢٣ » الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ٦٢ ٠

« ٢٤ » العرب واليهود في التاريخ ج ١ ، ص ٢٩٩ـ٣٠٠

« ٢٥ » علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني : الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية ٠ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٢ ـ ص ١٨ ـ ٢٣ ٠

« ٢٦ » الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام : ص ٦٤ ـ ٦٥ ٠

« ٢٧ » العرب واليهود في التاريخ ج ١ ، ص ٣٠١ ٠

الفصل الخامس

تهريب مخطوطات البحر الميت

وشبكة العلماء الضالعين فيها

اشترى المطران اثنا سيوس يشوعا صموئيل من ديـــــر مار مرقس السرياني في القدس ملفات المخطوطات الخمســـة الاولى التي عثر عليها بدو التعامرة والتي ظهر فيما بعـــد ، ان اثنين منها يؤلفان جزئين من ملف واحد اطلق عليه اسم كتاب النظـــام Manual of Discipline

وقد ذكر المطران امر هذه المخطوطات الى الاب مرمرجـــي الدومينيكي ، الذي استدعى بدوره الاب الهولندي فان دربلونغ الاختصاصي بالكتاب المقدس ، الذي كشف عن قيمة المخطوطات واهميتهـــا ٠

وفي شهر ايلول ١٩٤٨ اخذ المطران المخطوطات الى سورية واطلع عليها بطريرك طائفته في حمص ،كما انه حاول استشارة الدكتور انيس فريحه ، استاذ اللغة الساميـــة في الجامعـــة ببيروت ٠ وعندما وجد انه في اجازته ، اتجه بها الى لبنـــــان

ليطلع عليها نفر من ذوي الاختصاص · وفي مطلع تشرين أول عرض المطران صموئيل مخطوطاته على الدكتور موريس براون Maurice Brownوهو طبيب من أتباع العقيدة اليهودية ، جاء الى الدير لامر يتعلق بأحد عقارات الدير · وهذا ابلـــغ بـــدوره رئيس الجامعة العبرية يهوذا مجنسJudah Magnesبموضوع المخطوطات ، الذي استطاع بمعاونة سوكنيك Sukenikأستاذ الاثار في الجامعة العبرية من احضار جرتي قطع المخطوطات من بيت لحم الى القسم الواقع تحت الاحتلال الصهيوني بالقدس وان يبتاع فيما بعد قطعا اكثر من المخطوطات المكتشفة ·

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الراهب بطرس صومي يقترح أخذ راي خبير نزيه بشأن المخطوطات · اتصل المطران صموئيل هاتفيا بالمطران ستيورات المقيمفي كاتدرائية القديس جورج « كنيسة المطران » · مستفسرا عما اذا كـــان هنالـــك أشخاص في المدرسة الاميركيـــة يمكـــن استشارتهم في أمـــر المخطوطات · ولما لم يجد احدا ، اتصل بالمدرسة الاميركيـــــة وقابل فيها الدكتور جون تريفر وكيل مدير المدرسة ، بســـبب غياب مدير المدرسة الدكتور بوروز خارج القدس · وتمتصوير المخطوطات الاسطوانية بعد فتحها بصعوبة ، وقـــد ارســـلت نسخة عنها الى الدكتور وليم اولبـــرايت w. Albright جامعة جون هوبكنز John Hopkins

في ٨ / ٣ / ١٩٤٨ زار المطران المدرسة الاميركية وحضر الاجتماع بوروز وتريفر لبحث امر المخطوطات · وفي صـــباح ٢٥ / ٣ / ١٩٤٨ اخبر المطران صموئيل الدكتـــور تريفـــر أن

صومي خرج من فلسطين بالمخطوطات الى سورية ، دون تصريح من دائرة الاثار الاردنية بشكل غير شرعي • عندها اسرعت الحكومة الاردنية بارسال دوريات عسكرية لايقاف حفريات التعامرة • مخصصة خمسة عشر الف دينار لشراء جميع المخطوطات التي كان البدو يعرضونها في السوق • وبعد مدة ظهرت مجموعات أخرى ، فاشترى المتحف منها بنحو ثمانين الف دينار ، ثم تبرعت بعض الجامعات والمتاحف في أوربا واميركا بمبالغ لابأس بها لانقاذ المخطوطات وحفظها وتمكين العلماء من درسها ، وقد وضعت كل الكميات في المتحف الاثري بالقدس «المتحف الفلسطيني » ، لتشكل وحدة خاصة ، ثم وضعت تحت تصرف فريق من العلماء من جنسيات مختلفة«١»

شهادة ميللر بوروز Millar Burrows في الكيفية التي تم فيها تهريب بعض المخطوطات على يدي المطران اثناسيوس يشوعا صموئيل ، وبيع بعضها الاخر الى الجامعة العبرية او المتحف الفلسطيني ، توضحها وتكملها وثائق أخرى تبين وتوضح دور بعض العلماء والباحثين غير الوطنيين في العبث بإرث أمتهم الثقافي والحضاري • وما نفقده اليوم من أصول مخطوطاتنا التاريخية الهامة بدولارات او جنيهات معدودة ، لانستطيع غدا بأضعافها ان نقتني صورة عنها بالفوتوكوبي ، هذا ان سمح لنا باقتناء مثل هذه الصورة البديلة غير الاصلية •

المتواطئون على سرقة المخطوطات وتهريبها :

يتحدث لانكستر هاردنج G. Lankester Harding

في كتابه آثار الاردن ، بعبارات غامضة عن مصير بعض المخطوطات ، والمحاولات التي جرت لتهريب أكبر كمية منها سواء بالبيع النقدي غير المجزي ، أو بالهبة العلمية غير المتكافئة ٠

ذكر هاردنج انه « في أواخر سنة ١٩٤٩ بدات تظهر في الصحف قصص خيالية عن الاسعار التي بلغتها المخطوطات ولكنه لم تتضح بعد طريق المغامرات التي مرت عليها هذه المخطوطات ، ولكن المخطوطات وجدت سبيلها في النهاية الى اشخاص كان باستطاعتهم أن يقدروا ، على نحو ما ، اهميتها الحقيقية »(٢) ٠

وعن قصد لم يوضح هاردنج السبل الملتوية التي غامر المغامرون بها للاطاحة بالمخطوطات خارج المواقع والمواضع التي كانت يجب أن تحفظ بها ٠

أسد رستم مؤرخ الكرسي الانطاكي بدوره ، أمدنا بمعلومات غامضة عن الكيفية التي جرت لتهجير المخطوطات من بيئتها الاصلية الى حيث المتاجرة بها ، والاستفادة منها بعيدا عنا ، لتضليلنا وتجهيلنا ببعض حقائق تاريخنا وحوادثه فأسد رستم يرى أن سبب طلب المعونات الاجنبية راجع لتمسك عرب التعامرة بما « وجدوه في الكهف الرابع وضنوا به طالبين أسعارا مرتفعة٠غير عارضين للبيع سوى بعض ماوجدوه بين آونة وأخرى ٠ واستمر العرض حتى صيف سنة ١٩٥٦ ٠

وباشتداد المساومة شعر العلماء المحليون انه لابد من

الاستعانة بأموال من الخارج لارضاء التعامرة · فناشدوا المؤسسات العلمية في العالم اجمع ، وطلبوا المعونة المالية منها بعد اعترافهم بفضل الحكومة الاردنية وانفاقها الذي كان اكثر مما تسمح به ظروفها · فلبت النداء جامعات: ماكجيل Mc Gill الكندية ، مانشستر البريطانية ، هيدلبرغ الالمانية ، كلية ماكورميك Mccormik اللاهوتية في شيكاغو ، ومكتبة الفاتيكان · فوجد المال المطلوب وباع التعامرة البضاعة ، فتجمعت كلها في متحف فلسطين في بيت المقدس » «٣»

والمخطوطات التي يسميها رستم بالبضاعة ، هل صحيح ان علتها ومشكلتها الرئيسية كانت متعلقة بمساومة التعامرة المالية فحسب ؟ وللاجابة على هذا السؤال ، لابد من بعض التفصيلات التي تضيء جوانب اخرى من العملية المبهمة في روايتي هاردنج ورستم ، اعتمادا على شهادة محمود العابدي الموثقة والدقيقة ·

لانكستر هاردنج يستعين بالسفير الاميركي لاعادة المخطوطات :

« في ١٤ شباط / فبراير ١٩٥٢ كتب مدير الاثار لانكستر هاردنج الى السفير الاميركي بعمان :

ان المخطوطات التي اكتشفها الرعاة سنة ١٩٤٧ في الزاوية الشمالية من البحر الميت والتي كانت في منطقة الانتداب البريطاني ، ثم انتقلت الى حكومة الاردن ، قد بيعت لصاحب حانوت سرياني في بيت لحم · وفي الحال تسرب

بعضها الى الجامعة العبرية ، ووصل القسم الاخر الى مطـــران السريان بالقدس الذي نقلها الى المدرسة الاميركية للابحـــاث الشرقية بالقدس ثم سمح لهم بدراستهـــا • وفي آذار ســـنة ١٩٤٨ شجعه مدير المدرسة الدكتور تريفر على تهريبهـــا الـــى اميركا عن طريق حمصـــ •

واثناء اختلال الامور أيام حكومة الانتـداب البريطانـــي التي يحرم قانونها اخراج العاديات دون تصـــريح من دائـــرة الاثار التي كانت تقيم في المتحف الاثري ، والذي لايبعد أكثر من نصف ميل عن المدرسة الاميركية ، وكذلك عن دير السريان الذي ذهب عدد كبير من اتباعه الى احد كهوف البحـــر الميـــت وقاموا بالحفر فيه دون تصريح • وفي أواخـــر ١٩٤٨ غـــادر المطران مدينة القدس متوجها الى اميركا ومعه المخطوطات وهذا يعني انه هربها من أربع دول هي فلسطين والاردن وسوريـــة ولبنان ، التي تمنع اخراج العاديات منها دون تصريح • وكان مقصده من أخذها الى اميركا ، بيعها بأعلى الاسعار • ولكـــن المعاهد العلمية المحترمة التي تقدر المسؤولية لم تتقدم لشرائها عندما عرفت انها مهربة • وان المادة ٢٨ من قـــانون الاثـــار الفلسطيني ، توجب القاء القبض على المهرب واعادة المهربات الى البلاد التي هربت منها • ولما لم يجد المطران من يشتري منه هذه البضاعة بسبب مطالبة الاردن بها — وكذلك اسرائيل — فقد اضطر لان يبيعها لليهود بربع مليون دولار • وانتقلت الى الجامعة العبرية لتنضم الى الكمية التي كـــان سوكنيـــك قـــد اشتراها سابقا وبذلك تم لديه جمع كل مخطوطات الكهف الاول

الضرائب الاميركية وسارق المخطوطات المطران صموئيل :

برزت مخطوطات البحر الميت في قضية ضرائب في مدينة بوستون ٢٣ / ٦ / ١٩٦٢ ، عندما قضت محكمة استئنافها بأن المطران اثناسيوس صموئيل رئيس كنيسة انطاكية السورية ، في الولايات المتحدة الاميركية وكندا ، مدين بمبلغ ٦٩٨١٣ دولارا على شكل ضرائب متأخرة ناجمة عن بيع المخطوطات الى اسرائيل ٠

قبل ذلك وفي ١٧ /١١ / ١٩٥٣ قرر مجلس الوزراء الاردني الموافقة على ان تتولى المؤسسات العلمية والجمعيات الاثرية والمتاحف التي تلقت دائرة الاثار الاردنية عروضها بدفع اثمان جميع المخطوطات من حسابها الخاص ٠ وذلك بعد ان تقوم دائرة الاثار باستلامجميع المخطوطات وحفظها لديها ودراستها وتصويرها واعدادها للنشر تحت اشراف مديردائرة الاثار الشخصي ومعرفته ومسؤوليته ٠

وردا على هذا القرار كتب مدير الاثار لانكستر هاردنج الى وزير المعارف ان قرار مجلس الوزراء جاء غامضا جدا بالنسبة لي ٠ حيث لم يرد اي ذكر بما يتعلق بارسال حصةلكل مؤسسة علمية او متحف او جمعية اثرية تتبرع بأي مبلغ من المال لشراء المخطوطات ٠

ودون ان يعتمد هاردنج على اي قرار وزاري ، كتب الى المتبرعين بالعملات الاجنبية الواردة باسمه الشخصي يطمئنهم بأنه اشترى المعروضات بصفة شخصية ٠ بعدما حول قيمة

العملات الاجنبية الى الدينار الاردني · وانه هو الذي عين كل قطعة باسم الجامعة التي دفعت ثمنها ، ثم خلطها مع الحصة التي اشترتها دائرة الاثار الاردنية التي يراسها بمبلغ ١٥٠٠٠ دينار ،وبحصة المتحف الفلسطيني التي اشتراها بنحو ٥٠٫٠٠٠ دينـــــــار ·

ثم جاءت جامعة ماكورميك الاميركية وتبرعت بستة الاف دولار ، فقبل هاردنج المبلغ ، واخذ من حصة كل جامعة قطعـــا كون منها حصة لجامعة ماكورميك · وقد حول هاردنج التبرع والمساعدة الى عملية شراء وتملك ·

وفي ٢٠ /٤ / ١٩٥٥ رفع الدكتور عبد الكريم الغرايبـــة اول مدير عربي لدائرة الاثار الاردنيـــة تقريـــرا الـــى وزيـــر التربية والتعليم جاء فيه :

ان المستر هاردنج استعمل اموال المتحف الفلسطيني لشراء بعض مخطوطات البحر الميت بلغت قيمتها الاف الدنانير ·

وفي ٢ / ٢ / ١٩٥٣ ارسل وزير التربية والتعليـــم الى مدير الاثار كتابا يمنع فيه تصدير هذه المخطوطات ·
وفي ٦ / ١ / ١٩٥٧ اتخذ وزير التربية بالوكالة قرارا باستملاك المخطوطات رفعه الى الرئاســـة · والان اصـــبحت المخطوطات ملكا للحكومة لاينازعها في حق امتلاكها منازع ولكن يجب البت في حق التفسير والتعويض ·

واستنادا الى المادة الحادية عشرة من قانون الاثار رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٣ قرر وزير التربية والتعليم بالوكالـــة ، استملاك

الحكومة الاردنية لكافة المخطوطات التي اكتشفت في منطقة البحر الميت ، والتي قد تكشف في ذلك المكان او في مكان اخر في الاردن . وهذا يشمل المخطوطات في اللغات العبرية والارامية واليونانية والفينيقية وفي اية لغة اخرى .

كما يشمل كافة انواع المخطوطات بما في ذلك المخطوطات التي تملكها الوزارة ، وما كتب على ورق او رق او على ورق بردي او على برونز او على اي شيء اخر . ولا يجوز اخراج ايشيء من المخطوطات الى خارج البلاد .

لقد ادى تشدد الدكتور عبد الكريم الغرايبة في قضية المخطوطات الى اقصائه عن ادارة اثار الاردن واستبداله بالاستاذ سعيد عثمان درة . الذي تم في عهده عرض المخطوطات في جامعات ومعارض ومتاحف الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وكندا ، عادت بعدها المخطوطات عام ١٩٦٦ الى المتحف الاثري في القدس الذي جرى تأميمه واصبح تابعا لدائرة الاثار الرسمية (٤) .

حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ واغتصاب المخطوطات في ٦ حزيران ١٩٦٧ :

« لايختلف موقف السلطات الصهيونية تجاه مخطوطات البحر الميت عن موقفها تجاه المتحف الفلسطيني . ذلك انهما موقفان متكاملان . فقد قال مدير الاثار الصهيوني « بيران » الى الاب « دوفو » ان حكومة « اسرائيل » تعتبر مخطوطات البحر الميت الموجودة في المتحف الفلسطيني متحفظا عليها

بشكل مؤقت ، علما بأن الاب دوفو كان يقوم بدراستها . وقال مثل هذا الكلام الجنرال الصهيوني يجائيل يادين Yigael Yadin ومع هذا فقد سحبت من المتحف الفلسطيني بتاريخ ٦ حزيران ١٩٦٧ : مخطوطات هامة من مخطوطات البحر الميت بدعوى المحافظة عليها . وتشكل هذه المخطوطات قسما من معرض سميثسونيان Smithsonian وخاصة الجزء المتعلق بالمزامير . ولم تتم اعادة هذه المخطوطات الى المتحف الفلسطيني »«٥» .

لقد خالفت « اسرائيل » احكام اتفاقية لاهاي ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح التي تنص الفقرة الثالثة من المادة الرابعة فيها على أن تتعهد الاطراف المتعاقدة بتحريم اية سرقة او نهب او تبديد للممتلكات الثقافية ووقايتها من هذه الاعمال ووقفها عند اللزوم مهما كانت اساليبها وبالمثل تحريم اي عمل تخريبي موجه ازاء هذه الممتلكات . كما تتعهد بعدم الاستيلاء على ممتلكات ثقافية منقولة كائنة في اراضي أي طرف متعاقد اخر . وتنص الفقرة الاولى من المادة الخامسة من اتفاقية لاهاي على واجب الاطراف المتعاقدة ، التي تحتل كل أو بعض أراضي احد الاطراف المتعاقدة الاخرى تعضيد جهود السلطات الوطنية المختصة في المناطق الواقعة تحت الاحتلال في سبيل وقاية ممتلكاتها الثقافية والمحافظة عليها (٦) ولقد خالفت « اسرائيل » احكام هذه الاتفاقية عندما نقلت أثناء معركة القدس في ٦ حزيران ــ يونيو ١٩٦٧ كميات كبيرة من المخطوطات الثمينة المعروفة بمخطوطات البحر الميت ، من المتحف الفلسطيني بالقدس وادعت انها تحتفظ بها بصفة مؤقتة .

مناهل وهوامش الفصل الخامس

١ ــ مخطوطات البحر الميت : ص ٥٦ ــ ١٣٥

٢ ـ اثار الاردن : ص ٢٢٩ ــ ٢٣١

٣ ــ مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران : ص ٩

٤ ــ مخطوطات البحر الميت : ص ٣٣٢ ــ ٣٨٤

٥ ــ محمود العابدي : قدسنا ٠ معهد البحوث والدراسات العربية ٠ جامعة الدول العربية ٠ القاهرة ١٩٧٢ ٠ ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ ٠

٦ ــ احمد السخاوي : ملف القدس ١٩٦٧ ــ ١٩٧٧ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠ « اليكسو » ١٩٧٧

الفصل السادس

الكتب التي أهملتها وأسقطتها التوراة

بين الكمبيوتر والصهيونية

شابت الابحاث العلمية التي رافقت نشر مخطوطات البحر الميت وخربة قمران اغراض سياسية سعى بعض دارسوها باصرار وما زالوا لحرف استنتاجاتهم المستخلصة لجانب العرقية الصهيونية · مستخدمين لتحقيق احتمالاتهم المرصودة والمعدة سلفا · احدث الحاسبات الالكترونية « الكمبيوتر » لاعطاء نتائج متناقضة بعد تزويدها بمعطيات محددة تخدم في حالة التشكيك · وفي وضع اليقين ، قصدا واحدا هو تشويه الحقائق التاريخية وتزييفها خدمة للمصالح والمطامع الصهيونية في الارض العربية · وتستخدم لهذه الغاية ارقى المجلات الاميركية والاوروبية · ومجلتي التايم TIME والنيوزويك NeWsweek الاميركيتين في قسمهما الخاص بالعقائد والاديان Religion · تنشران باستمرار ملخصات الابحاث التوراتية التي تربط قسرا بين نصوص التوراة وسيرة

اتباعها وبين تاريخ الارض الفلسطينية العربية من غير سند تاريخي موثوق أو دليل علمي ثابت ٠

كتب كينيث ودورد بمعاونة راشيل مارك موضوعا عن الكتب التي أهملتها واسقطتها التوراة جاء فيه ان الدارسين والعلماء المهتمين بالتوراة كانوا على علم منذ وقت طويل بأن هناك كتبا مقدسة أخرى غير الكتب المقبولة والمعترف بها من قبل اليهود والمسيحيين وهي التوراة اي العهد القديم « العتيق » والعهد الجديد « الاناجيل المعتمدة » ٠

وفي الفترة الممتدة بين سنة ٢٠٠ ق٠م ، وسنة ٢٠٠ ب٠م اعد الكتاب والنساخ اليهود والمسيحيين قرابة ٤٧ نصا لكتب مقدسة ، أعتبرت اكثرها من قبل اليهود ، في عهد عيسى المسيح ، كتبا سماوية ، ومع هذا فان اليهود والمسيحيين من أصحاب الرأي المستقيم لم يعترفوا بها كجزء من التوراة الرسمية ٠ وهناك مشروع رئيسي يوازي مشروع مخطوطات البحر الميت يستهدف جمع كل النصوص ٠ المهملة من جميع المكتبات في أنحاء العالم ٠ ويترجم بعضها حاليا الى الانكليزية وكثير منها يترجم للمرة الاولى ٠

وهناك جماعة دولية من الدارسين المختصين يقدر عددها بأربعين عالما بقيادة البروفسور جيمس شارلز ورث James H. Charles worth خبير مخطوطات البحر الميت من جامعة ديوك Duke ، يحاولون اضفاء الشرعية على الاف الصحائف غير الموثقة وغير الموثوقة ، وربما المزيفة ٠ من

اجل توثيقها بموازنتها مـــع صحائف أخرى • ويعتقد جيمس شارلز ورث انه بانتهاء مشروع العشر سنوات الخاص بدراستها سيتكون لدى الراي العام العالمي مفهوم جديد مثير عن نشوء الديانة المسيحية في العقيدة اليهودية •

اللقـــاء بالمســيح :

اتفاقا مع اراء شارلز ورث فان الصحائف غير الموثقــة والموثوقة اظهرت ان الديانة اليهودية في عهد المسيح هي اكثر شيعا وتنوعا وتباينا مما تخيل ماضيا • بل هي اقرب بوضوح الى المعتقدات المسيحية •

ويبدو ان بعض نصوص الكتب تزودنا بمصـــادر اخرى معترف بها كنسيا • وهي عدة اقوال لعيسى المسيح • تشـــير احداها الى احتمال مقابلة مؤلفها للمسيح فعلا •

ومع ان بعض الخبراء متأكدون من قدرتهم على التصدي لهذه الاستنتاجات وتحديها • فان نشر تلك الصحائف سيثير نقاشا جديدا حول ما يمكن وصفه بمواقف اعتباطية لاحبـــار اليهود والاباء المسيحيين في القرن الثاني الذين اكدوا علـــى سماوية بعض الكتب ولا سماوية بعضها الاخر •

ونحن نود ان نزيل الضرر المتسبب عن قرارات المجالس الكنسية في ايامها المبكرة الاولى • باستثناء بعض نصـــوص التوراة كما يقول : ستيفن روبنسون Stephen E. Robinson من خريجي جامعة ديوك ومن العاملين في نفس المشروع •

وبينما تحمل الصحائف عناوين دخيلة وغريبة مثل سفر الرؤيا لعزرا ، ورؤيا موسى ، وقصة سام · فان الصحائف غير الموثوقة تقدم لنا رؤيا مغلقة وغير عادية عن المؤلفات المفقودة كما جاءت في عبارة شارلز ورث عن فترة المائتي سنة· اي تلك الفجوة الواقعة بين كتاب العهد القديم « دانيال » والكتابة الاولى للعهد الجديد « رسائل بولس » ·

يقول شارلز ورث : عندما ابتدات عملي فان معظم الناس كانوا يظنون ان العقيدة اليهودية في القرن الاول كانت حجرية Monolithic مع ادراك واضح لما يمكن ان تعنيه مقولة ان تكون يهوديا طيبا · ومن معرفتنا الحالية لليهودية في تلك الحقبة فانه باستطاعتنا مشاهدة غناها الفسيفسائي الملون · دون ارتكازها على راي موحد مستيقم · ومن بين الاكتشافات المذهلة : الايمان الصريح بالتنجيم ، وعبادة ملاك الخصب والنماء والزخرفة والترف التي تشكل من وجهة نظر بعض الدارسين ، حواشي مزخرفة للشرك · ولقد وجد الدارسون هنا وهنالك ، مقاطع تتوازى مع اسطر من الاناجيل الكنسية الى حد مماثل تقريبا · وأن سفرالرؤيا لباروخ ينذر كقول المسيح ان الاول سيكون الاخير · وفي كتاب اليوبيل الفضي او مرحلة الغفران يوجد مقطع يقول :

« لا تدعهم يقودونني حتى لا اشرد عنك » · التي تماثل الصلاة في انجيل متى ·

ومؤلف اناشيد سليمان Psalms of Solomon التي يحدد بعض الخبراء تاريخها ، خلال حياة المسيح · يكتب هذه

العبارة : انني لم اتعثر عندما رايته • مما يقود الى التخمين بانه بخلاف مؤلفي الاناجيل الاخرى المتشابهة في المحتوى قد قابل المسيح فعلا •

السـماء الثالثـة :

بعيدا عن التفاصيل المضللة كليا ، فان الصحائف غير الموثوقة عموما تميط اللثام عن اهتمام اليهود المضلل بسفر الرؤيا • مما يوحي بان المسيح وبولس لم يكونا بدعا عن غيرهم من مستقيمي الراي في تبشيرهما بملكوت الرب الاتي • وظن بعض الخبراء في كثير من الاحيان ان كتاب اخنوخ Book of Enoch يصف بالتفصيل جنة السماء الثالثة المذكورة في احد المقاطع الصوفية « المتعلقة بالصلة المباشرة بالله في رسائل بولس » • واما في اناشيد سليمان المكتوبة قطعا قبل ولادة المسيح فاننا نجد فيها وصفا ظاهرا للمسيح المنتظر Messieh الذي ينتظره اليهود ليدمر الشرير لابالسيف والرمح بل بكلمة من فمه •

اعتبر بعض الدارسين ومنهم البرت شويتزر Albert Schweitzer ان عيسى كان غريب الاطوار وذا نزوات لان فكرته عن سفر الرؤيا كانت متطرفة جدا قياسا لما هي عليه في الديانة اليهودية • ويؤكد شارلز ورث ان الصحائف غير الموثوقة تعرفنا على ان الافكار المتعلقة بسفر الرؤيا لها جذور عميقة في الديانة اليهودية • ولعل الكثيرين ومنهم عيسى المسيح قد تاثروا بما جاء في سفر الرؤيا في عهده • ويعتقد

شارلز ورث بأن وجهات نظره قد اختلفت على الاقل في أمر واحد يتعلق بأمر الاله المنعزل عن خليقته الذي سيضع نهاية تشاؤمية للشر . ولكن عيسى الانسان يظهر كأب ودود مندمجا في المعاناة البشرية اليومية .

ويبدو ان مضمونات سفر الرؤيا قد أسهمت في ثورة مدمرة ضد روما من قبل اليهود الزيوليت Zealots التي قاومت السيطرة الرومانية عام ٦٦ ق.م وانتهت بخراب هيكلهم وانتهاء وجودهم .

وعلى هذا فان معظم الدارسين يوافقون الاحبار الاحياء على وضع قائمة بالكتب الكنسية الصحيحة المعترف بها في القرن الذي تلا الفتنة المدمرة . وحذف الكثير من تلك الكتب الكنسيه الاخرى باستثناء كتاب دانيال Daniel الذي ظن خطأ بأنه الف حوالي عام ٥٠٠ ق.م .

كلمة الله :

اصدرت الكنيسة المسيحية شرائعها وقوانينها الكنسية التوراتية على مدى قرون متعددة من خلال مجالس كنسية متعددة وبشكل مباشر نتيجة الاصلاح البروتستانتي . والاسباب التي أدت لرفض الصحائف غير الموثوقة كانت منطقية . ويظن شارلز ورث ان اليهود والمسيحيين في هذا العصر عليهم قراءة تلك الكتب غير الموثوقة والاحتكام فيما بينهم على أيها اشتملت كلمة الرب . والفكرة الاخيرة يحتمل ان لا تتلاءم وتقاليد اليهود والبروتستانت المحافظين . ولكن بعد مرور سنوات على

الدراسات القائمة لابد من القبول والاعتراف ببعض تلك الكتب من قبل بعض البروتستانت المتحررين وحتى من قبل الروم الكاثوليك الذين يعتبرون الكتاب المقدس ملكا للكنيسة (١) ٠

الكمبيوتر يعيد قراءة اسفار التكوين :

مجلة التايم TIME الاميركية لها دورها في اعادة قراءة التوراة بالحاسب الالكتروني « الكمبيوتر Computer الذي اظهر أن التعاليم اليهودية كرست موسى خط البداية الاولى للكتب التوراتية الخمسة ٠ وتابعتها على ذلك الكنيسة المسيحية المحافظة ٠ ولكن القرن التاسع عشر اظهر انتقادات البروتستانت التي تؤكد بأن اسفار موسى الخمسة مختلفة عن بعضها وغير متجانسة فيما بينها وان عمليات التشكيك التاريخية احاطت بتلك الاسفار من قبل اربعة مؤلفين مجهولي الهوية حتى الان هم :

١ ــ جاوست « ج » Jahwist (J)

٢ ــ اليوست « اي » Elonist (e)

٣ ــ بريستلي « ب » Priestly (P)

٤ ــ ديترنومست « د » Deuteronomist (D)

وقد رفض المحافظون التقليديون النظرية الحديثة التي تقول أن الحاسب الالكتروني « الكمبيوتر » وحده طريق العلم للقبول بتاريخ الكتاب المقدس ٠

ورد يهودا راداي Yehuda Radday مدرس التوراة

في معهد الابحاث التقنية بحيفا بأن خمس سنوات من الدراسة على الحاسب الالكتروني اظهرت بأن اسفار التكوين هي لكاتب واحد وليست لعدة مؤلفين مجهولين ٠ وكلا الفريقين لم يستطع حتى الان اعطاء الدليل اليقيني على صحة معتقداته (٢) ٠

الى هنا وتنتهي دراســات خبراء مخطوطات البحر الميت الذين حاولوا تثبيت الاراء والافكار اليهودية فــي صلب واساس الديانــــة المسيحية ٠ او علــى الاقل التشكيك بمضموناتها باعتبارها امتدادا للناموس الصهيوني العرقــي المتعالي ٠ والحقيقــة أن عيسى المســيح عندما ارسل ليكمل الناموس لم يكن يقصد بتعاليمه وسلوكه اتمام رسالة الشر التي كان عليها اتباع العقيدة اليهودية انذاك بل جاء ليكمــل ناموس الله الى الناس الذين في مملكته الارضية كلها وليس فحسب لاولئك الذين رفضوا منذ البداية فكرة خلاصهم علــى يدي عيسى المسيح ٠ فمسيحهم المنتظر Messiah يريدونه مفصلا على قوالبهم وهواهم وان لم يكن موجودا حتــى الان فلا بأس عليهم من تشويه العقائد القائمة وبلبلة معتقديهـا ببعض التفاصيل التي تجرهم الى المذابح والدماء بعيدا عــن مراكز تخطيطهم للاستيلاء على السلطات والثروات التي تزيد غالبية الجماهير فقرا في بلادنا واغترابا في ذاتها واستلابـا لقدرتها على التفكير المنظم وامكانيتها على الحركة المنتجــة الفعالة في محيطها وفي احتمال تاثيرها علــى المجتمعـات المجاورة فكرا وسلوكا ٠

واستدراكا فان مجلة النيوزويك News Week الاميركية

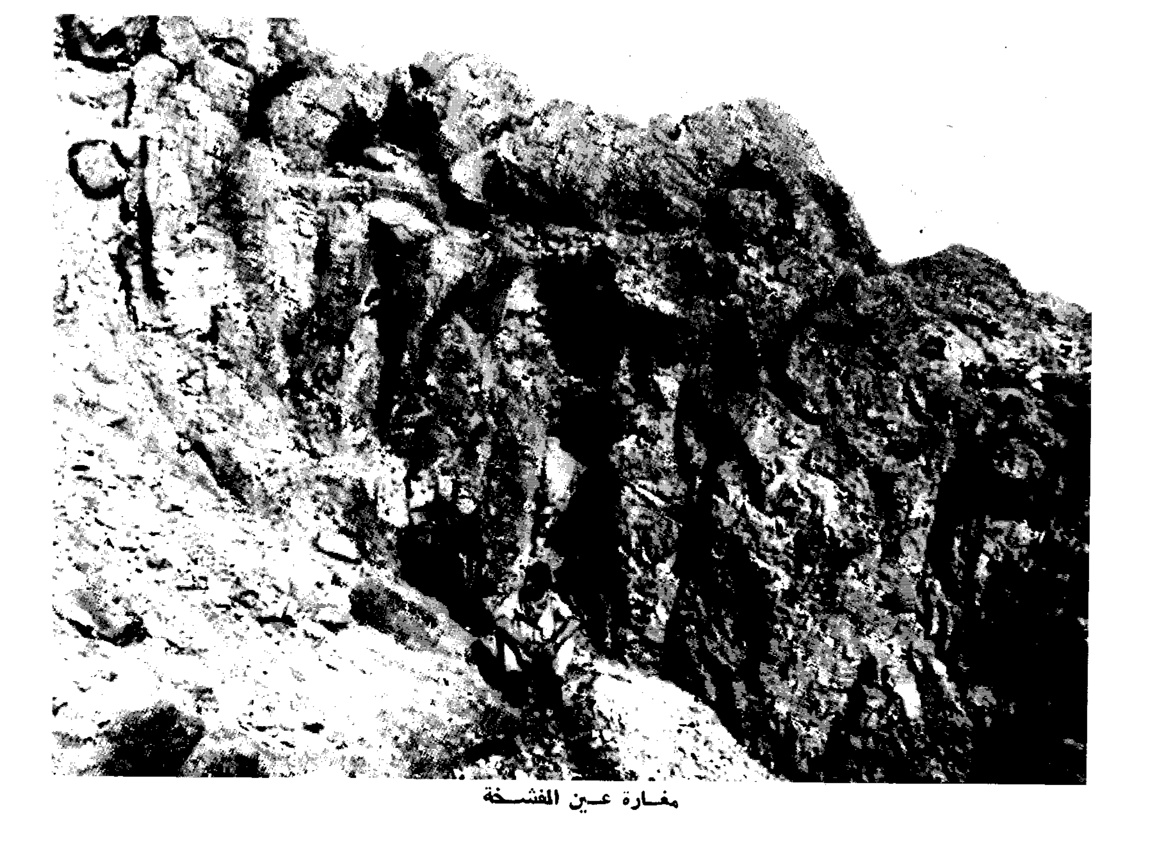


أجزاء وجذاذات من المخطوطـات .

اطـلال مســاكن القمرانيــين



الدرج الموصل الى صهريج المـاء



مغارة عين المفشخة

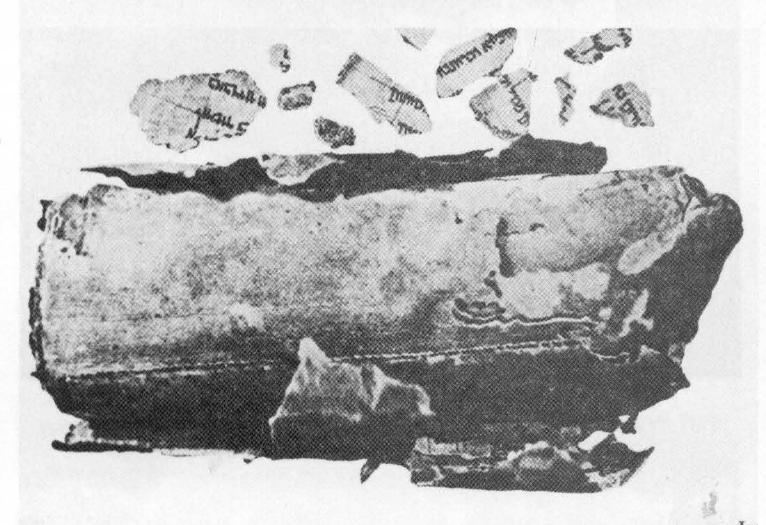
ملف من قتال أبناء النور ضد ابناء الظلام •



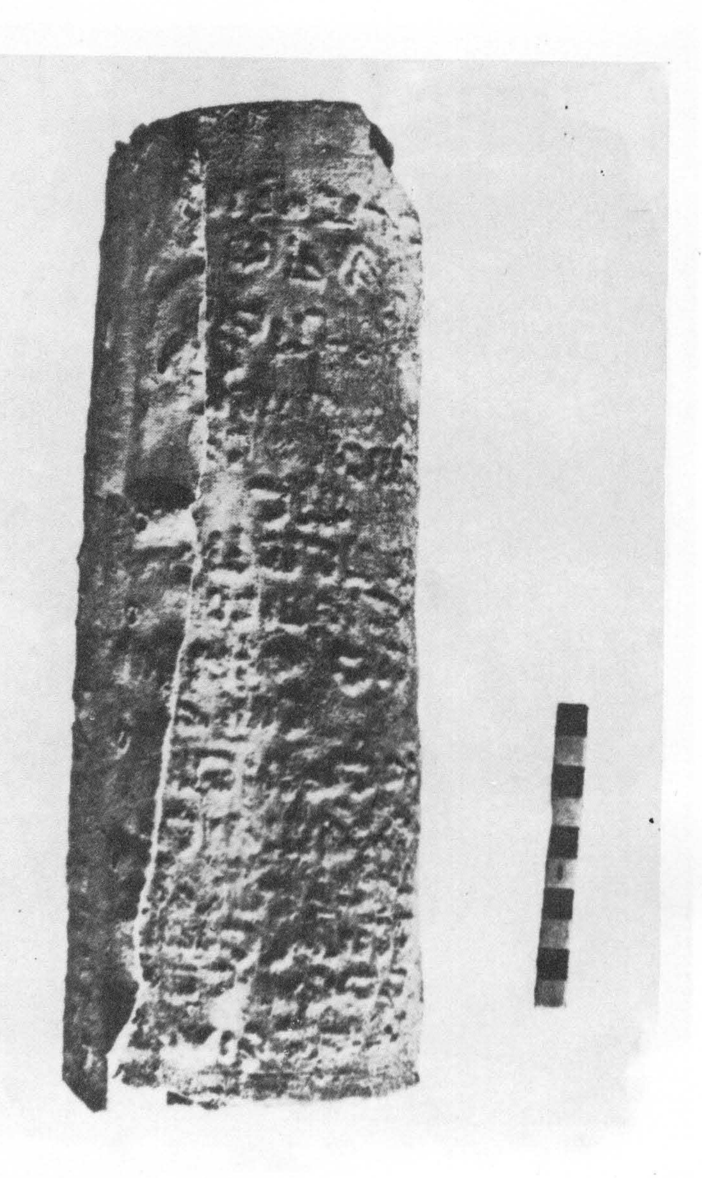
مطحنة حبـــوب قمرانيـــة



منظر عام للجبال المحيطة بالبحر الميت ٠



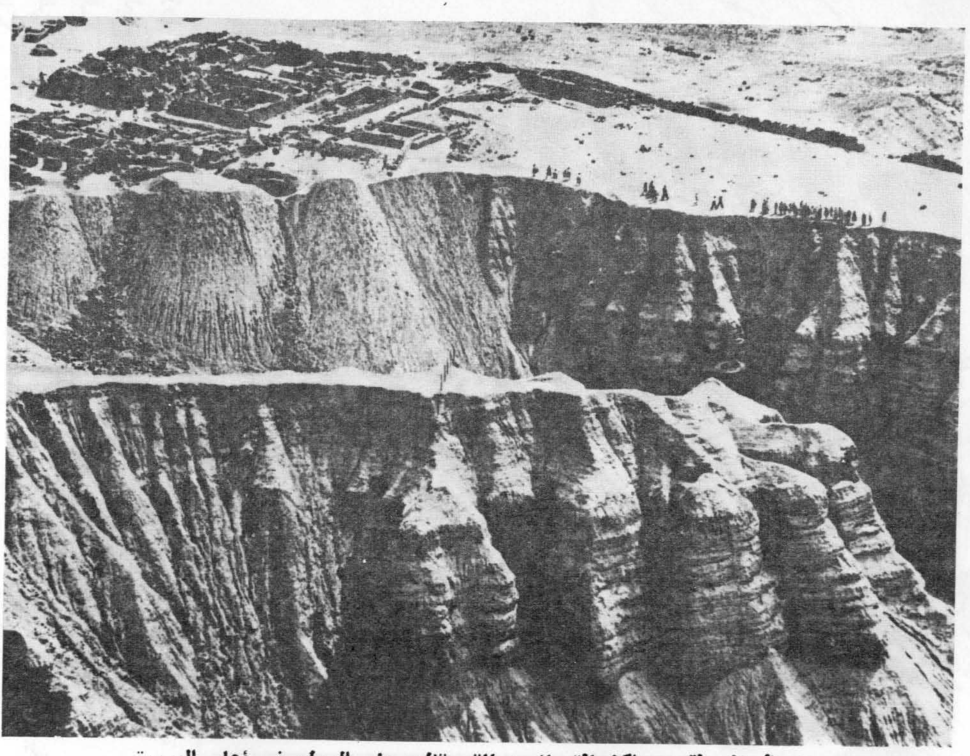
مخطوط حرب أبناء النور وأبناء الظلام



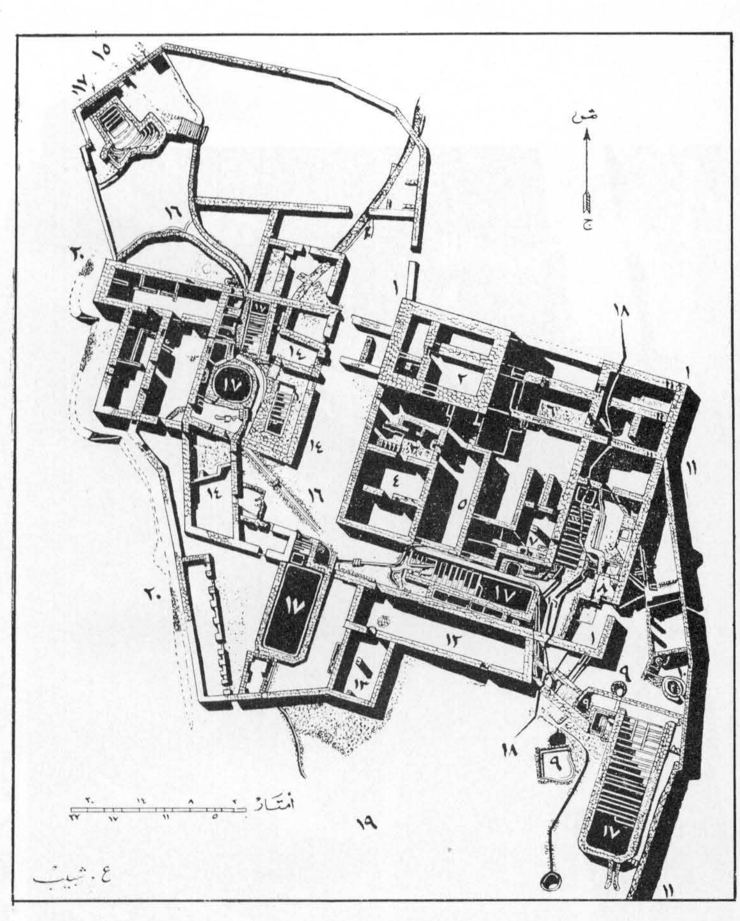
احدى قطع الملف النحاسي



نماذج من الجرار التي وجدت في المغارة

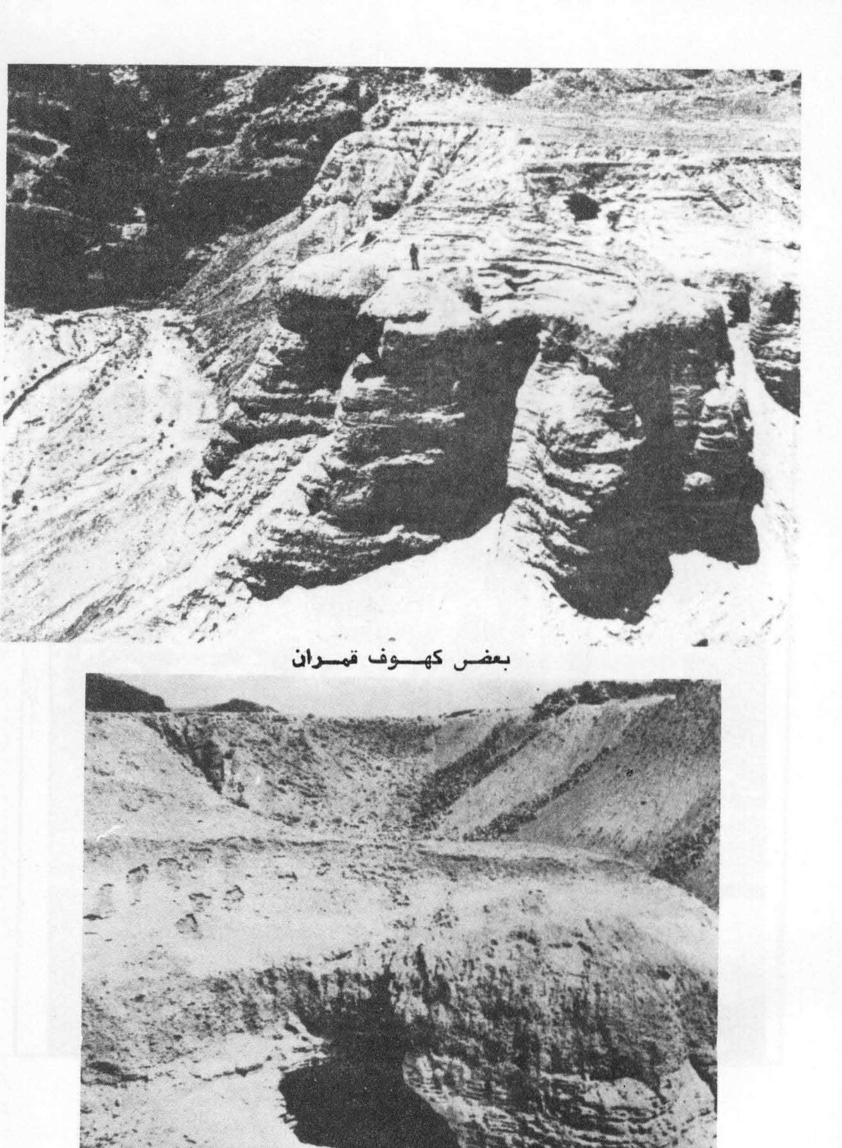


الجبال المحيطة بمساكن القمرانيين التي تظهر على السطح في أعلى الصورة



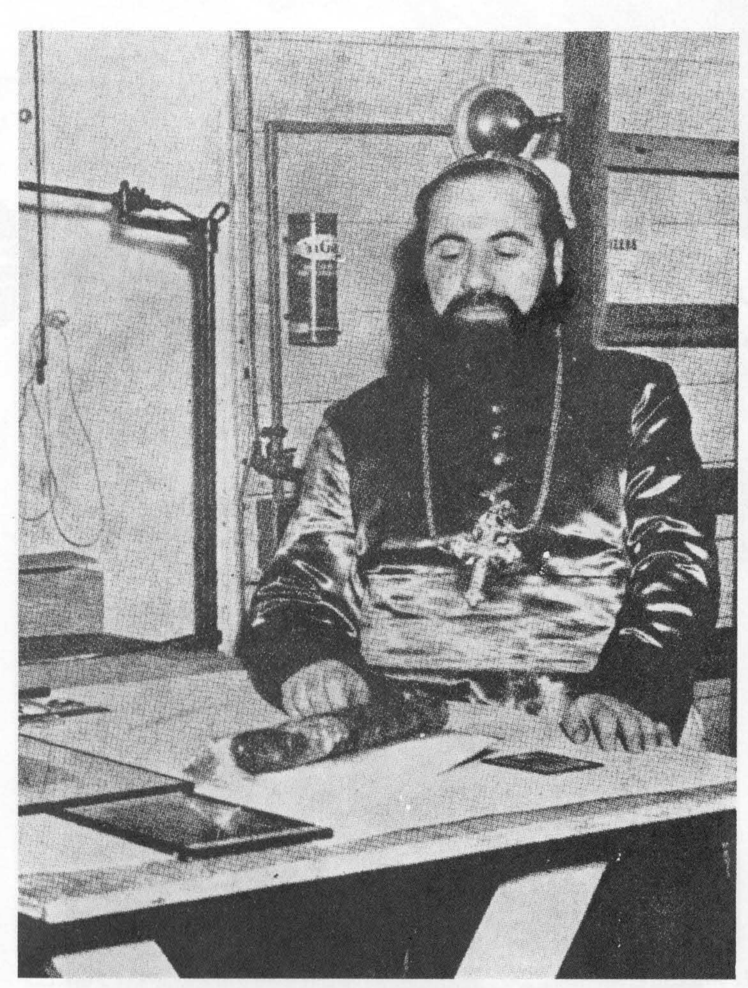
زوايا الحصن	٦ : المطبخ	١١ : الحائط عند المقبرة	١٦ : القناة الرئيسية
البرج	٧ : الدباغة	١٢ : قاعة الاجتماع	١٧ : الصهاريج
السلم	٨ : المغسلة	١٣ : خزانة الاواني	١٨ : شق الزلزال
غرفة الطعام	٩ : الفاخورة	١٤ : المصانع	١٩ : الساحة الجنوبية
المكتبة	١٠ : افران الفاخورة	١٥ : اتصال الاقنية	٢٠ : الحائط الركن الغربي

مخطط يوضح تفصيلات مساكن القمرانيين من الداخل .

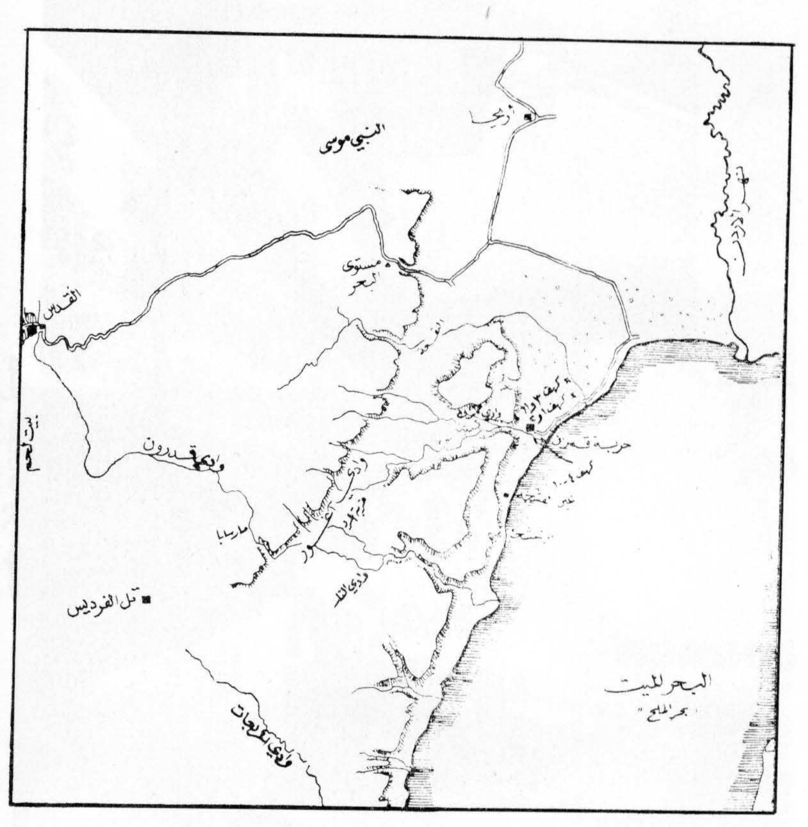


بعض كهوف قمران

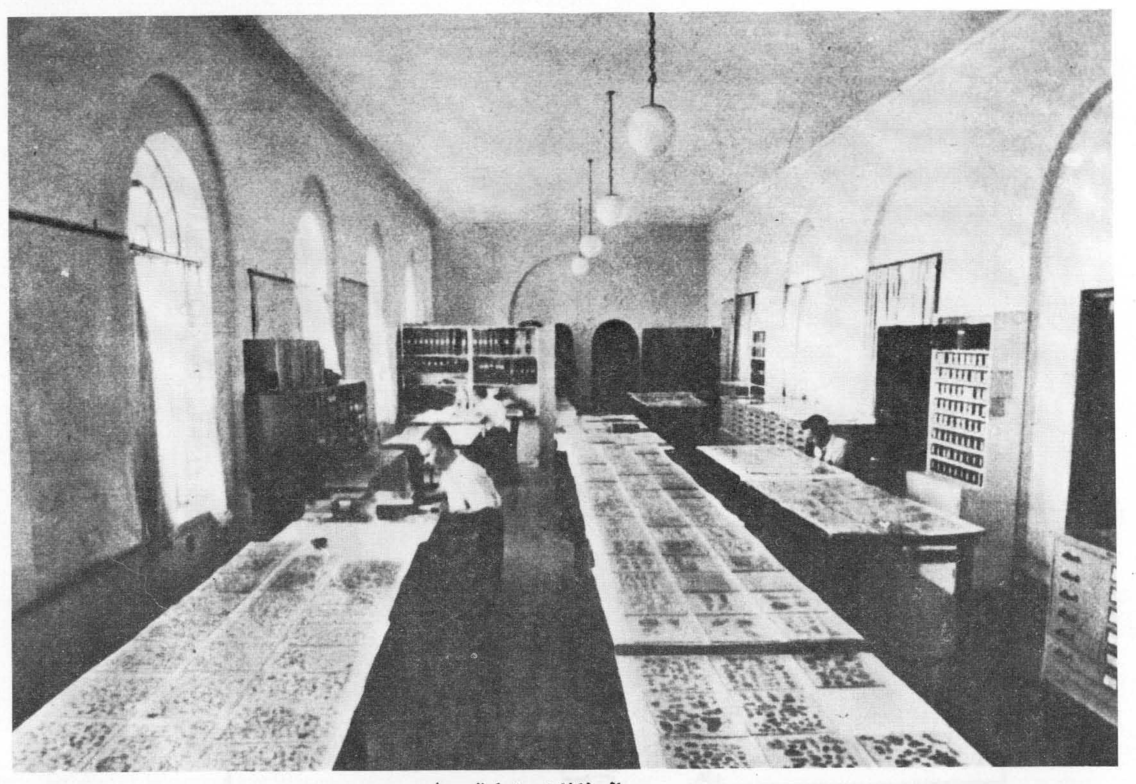
أحد كهوف قمران الملاصقة لمساكن القمرانيين



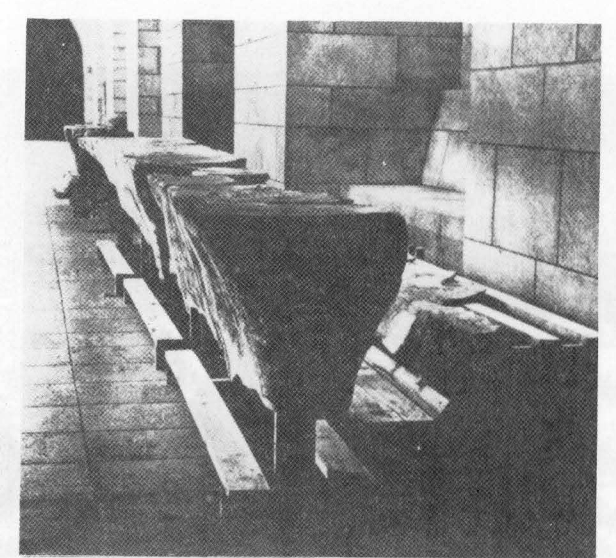
المطران صموئيل وتجارة المخطوطات غير المشروعة



مصور المواقع الطبيعية لمنطقة الاكتشافات

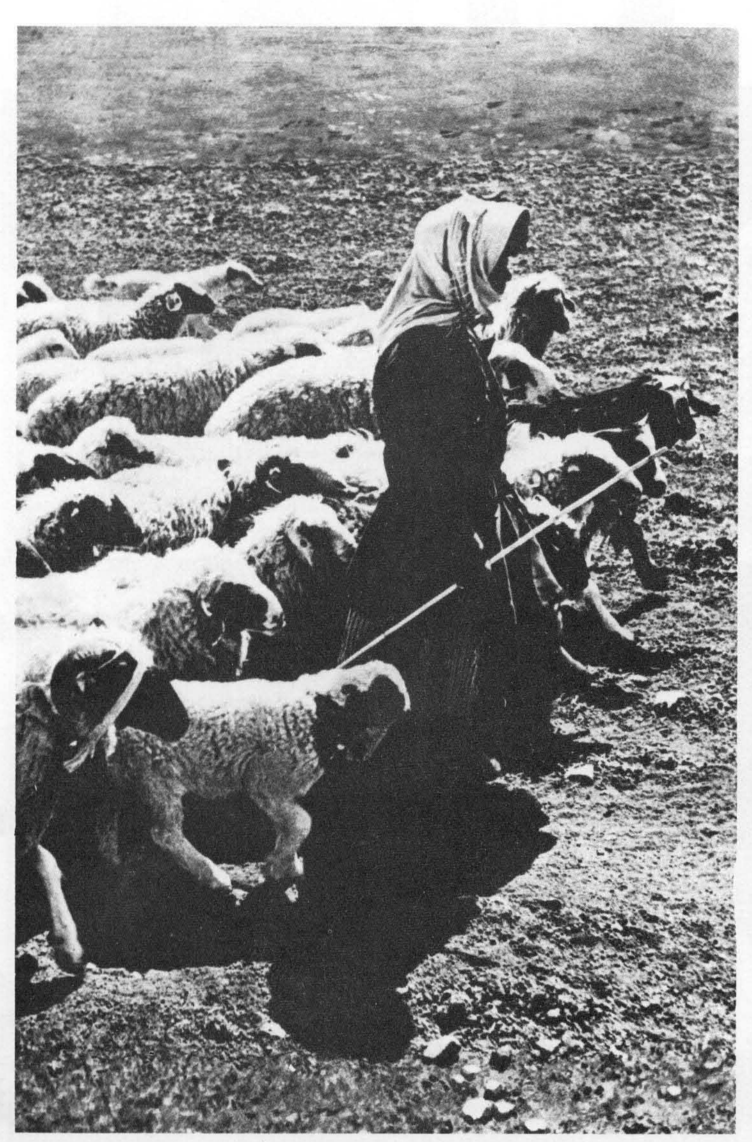


جمع الجذاذات وقراءتها



مقاعد ومناضد الكتابة القمرانية

دراسة مخطوطات قمران



الراعي محمد ذيب من عرب التعامرة

لازال في منزعها قوس ستوجهه الى المسيحيين الان · ولنحاول ان نربط « ان استطعنا بانسجام » بين الافكار اللاهوتية السابقة والنشاطات الساسية اللاحقة في ذات الدراسة ·

المسيحيون بالنسبة لاسرائيل :

ان الرئيس كارتر « وكل رئيس اميركي قادم » على علم بأن كثيرا من زعماء اليهود الاميركان يخشون قبول فكرة الوطن الفلسطيني في الضفة الغربية من الاردن مما يعود بالضرر على امن اسرائيل · ولكن اليهود ليسوا وحدهم في ذلك الاتجاه، بل هنالك فئة من الزعماء الانجيليين يريدون من الرئيس كارتر ان يعتقد بأن معظم المسيحيين في الولايات المتحدة الاميركية الذين يعتقدون بولادة ثانية يعارضون في اي انحراف كهذا عن حق اليهود السماوي في الارض التي أول ما وعد بها ابراهيم من قبل الله ·

وعلى صفحة كاملة تم نشر اعلان في « شهر نوفمبر — ت ٢ ١٩٧٧ م » في صحيفتي الواشنطن بوست ونيويورك تايمز لخمسة عشر زعيما انجيليا رسميا من بينهم اثنان من رؤساء الكليات وثلاثة من رؤساء المعاهد الدينية ، حضوا فيه الانجيليين الاميركيين على كتابة الرسائل والبرقيات الى واشنطن تأييدا لمواقف اسرائيل الحالية في الشرق الاوسط· قال جيري ستروبر Jerry Strober من الناشرين الانجيليين ما نصه : هذا هو جمهور ناخبي الرئيس الاميركي وعليه ان يصغي اليهم · ولان الانجيليين لم يتعودوا ان يكونوا خارج

العضوية السياسية ونشاطاتها فان هذه تعد خطوة رئيسية بالنسبة لهم ٠

الاحتـــرام المتبـــادل :

ان الاعلان لم يكن الا اشارة عامة للتحالف المتنامـــي بين زعماء اليهود الاميركيين ومعظم الزعماء الناطقين باسم الاجنحة الاميركية الانجيلية المحافظة ٠ والجمعية الاميركية الوطنيـــة للمعاملة الدينية المتبادلة منحت أولى جوائزها للانجيلي « بيلي غراهام » لمناصرته اسرائيل ولتقويته الاحترام المتبادل بـــين الجمعيات الانجيلية والجمعيات اليهودية ٠ واتفاقا مع اقوال الحاخام اليهودي مارك تيننبوم Marc Tanenbaum مديـــر الشؤون الدينية المتبادلة ، فان البيت الابيض سيكون على خطأ اذا ظن ان اليهود وحدهم يهتمون اهتماما عميقا باسرائيل ٠ بل ان اسرائيل والقدس كلاهما ركيزة لاهوتية للانجيليين مثلما هي لليهود ٠ واعتقادهم بعصمة الكتاب المقدس من الخطأ ، يماثله اعتقادهم بأن امن اسرائيل حيوي لانجـــاز النبوءات التوراتية التي تقول ان المسيح « واي مسيح » سيعود لهداية اسرائيل وادانة الاثمين الاشرار ٠ وهم يؤمنون بأن عـــودة اليهود « لوطنهم » واعادة بناء مملكة اسرائيل هي من علامات اخر الزمان التاريخية ٠وذروة التاريخ الدنيوي ، ورنين بايذان قرب حلول العام الالفي السعيد ٠ كما يقول كينيث كانتزر Kenneth kantzer محرر المجلـــة المسيحية الانجيلية واحد الموقعين على الاعلان المنشور ٠ ومع ان التآلف الاكليروســـي البروتستانتي ــ الارثوذكسي ، بعث برسالة الى التايمـــز

والصحف الاخرى ينتقدون فيها الاحكام المفرطة والتفسيرات الخاطئة ، معلنين ان حق الملكية والتملك هو مشيئة اللـــه فحسب • مع هذا فقد وجهت اسرائيل الدعوة لالف من المبشرين الانجيليين الذين كانوا خلف أول اعلان لكي يزوروا القدس في شهر كانون الثاني القادم ويستمعوا الـــى رئيس وزرائهـــا مناحيم بيغن • وهو يعرض برنامجه للسلام في الارض المقدسة (٣) • برنامج بيغن يأتي بالخراب فحسب • وتاريـــخ العرب الحقيقي يصنع السلام والامان فحسب •

تاريخ العرب الحقيقي وحقيقة التوراة :

البحاثة الفرنسي بيير روسي في كتابه مدينـــة ايزيس « التاريخ الحقيقي للعرب » يحاول فعلا اعادة كتابة التاريخ العربي بل الانساني عامة • فلقد آن الاوان للعالم الشرقي أن يبدأ اكتشاف تاريخه وثقافته اللتين لولاهما لغدا الغرب فارغا وانه لمن غير المنطقي ان يفرض علماء الغرب الموسوعيون عـــن طريق فكرهم العلمي، ميثولوجيا مؤسسة على الاساطير التوراتية أو عن مخطوطات مزعومة ، اغريقية أو رومانية مكتوبة « مـــن كتبها ؟ » بعد عدة قرون من الحوادث التي رووها بالتفصيل، وانها لفضيحة علمية أن يعطوا الحياة والمادة لشخصيات حلم اقاموا هم انفسهم اعمدتها العقيدية • وانه من الحمق ، ان يعطي هؤلاء العلماء لانفسهم الحق انطلاقا من وثائق لا وجود لها ، او مشكوك فيها أو لا معنى لها في المادة والحياة لعصور كاملة مفقودة في ليل الزمان • وعوضا عن اعادة النظـــر فـــي التفاسير التوراتية تحت ضوء اللغة والثقافة العربيتين ، فان

مدرسة سكولاستيكية مصطنعة قد انهارت لصالح رؤية منعشة للعهدين القديم والجديد ، لان اصالة النص السبعيني الاغريقي والتي هي المصدر للتقليد العبري اربكت علماء اليهوديات الذين يعاندون في الا يروا الا الترجمة العبرية . ولاشيء قد حدث حتى ذلك اليوم مؤكدا مثل هذه الفرضية . ذلك انه تقرر منذ القرن الثالث بعد الميلاد فحسب ان تحرر بالعبرية تلك الترجمة اليهودية التي ظلت حتى ذلك الوقت مصوغة باللغة العربية ـ الارامية . والنص العبري للتوراة اليهودية لم يثبت الا في وقت متأخر جدا بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، من قبل علماء مدرسة طبرية الماسوريين الذين استعملوا اربعة مصادر هي : النص الاغريقي السبعيني ، وترجمة القديس جيروم اللاتينية ، والنص الارامي ، وعناصر اللغة السريانية التي لاتزال تدرس حتى اليوم . وقد اثيرت ، منذ عدة سنوات ، ضجة حول اكتشاف مخطوطات البحر الميت في خربة قمران . ولقد كنا في ذلك الوقت في غمار العمل الصهيوني في فلسطين والامم المتحدة وفي مجالات الراي وكانت لهم انذاك فائدة في التفتيش عن اثبات توراتي للعملية العسكرية « الاستيطانية » . ان فرصة الاكتشاف ظهرت مشبوهة . ولما استثير العلماء في قيمتها الوثائقية كانوا حذرين جدا . ذلك أن النظر القريب في الخط يظهر انه مملوء باشارات فينيقية وارامية . وهكذا ركزت الشبهات واعتبرت مخطوطات البحر الميت مشكوكا فيها . فما هي الاسباب التي جعلت العلم الغربي حجة في بحوثه الشرقية . بينما يجد تحت تصرفه لغة عربية حية موثوقا بها كأداة تعبير امينة عن

عدة الاف من السنين المتواصلة · لايضاح العصور القديمة بسهولة ·

لقد كان زيفا وضلالا باسم السامية المزعومة ، فصل العرب عن اللجموع الثقافي المصري : الكنعاني ، البابلي الذي كان قسما مكملا · ومرد ذلك الى الخرافة التي تريد اعطاء مكان خاص للغة العبرية في حين أنها ليست الا فرعا متأخرا من اللغة العربية والعبرية حتى الان تنتسب لعالم صغير مغلق من العلماء وهي لا وجود لها بالمعنى الشعبي والتاريخي للتعبير ان المسيح عندما قال : قبل ان يوجد ابراهيم ، وجدت · انما كان يؤكد أن كلامه ليس درسا مستمدا من اليهودية بل عن عالم روحي اقدم من ذلك ·

ان الحدود المرسومة عسكريا او سياسيا حسب مقتضيات آراء الاساتذة او علماء الاثار لاتتجاوز بالضرورة قلوب الناس· واننا عندما نؤكد من خلال نظرة شمولية ، ان الشرق يتعين من خلال ثقافة عربية في مساحة عربية · فاننا لا نخترع شيئا · اننا لانفعل شيئا جديدا سوى جمع واحكام العناصر الجغرافية والثقافية الموطدة واحدها الى الاخر (٤) ·

وبناء عليه فان مخطوطات البحر الميت جزء من ارثنا الثقافي العربي : نحن أولى الناس بقراءته وتفسيره واستخلاص الاحكام العلمية الحقيقية من نصوصه · لنقرا بعيون وعقول عربية بعض استشرافات مستقبلنا العربي الاتي ·

استشراف المستقبل العربي الاتي :

قد يتساءل احدنا وماذا بعــد هذه المطالعات والموازنات والدراسات التوراتية ؟ ألم تكفنا المآسي والوقائع التي مرت بنا حتى جئتم تتحدثون لنا عن توراة قديمة ، وفروقها عــن التوراة المتداولة • وردنا ببساطة : ان ادبيات اتباع العقيدة اليهوديــة الاقدمــين والمحدثــين على حد سواء اضحت تراثا منشورا بكل اللغات الرئيســية علينــا مطالعتها واستيعاب مضامينها وموضوعاتها عربياأسوة بالقراءات المتعددة التينوجه اليها جل اهتماماتنا الثقافية ، لان الخطر المصيري الصهيوني يهدد وجودنا كله وليس الثقافي وحده وهذا يستلزم معرفــة مقصد واغراض الاسفار التوراتية ، لتبيان وادراك ماترشدنا اليه ظواهرها من مطامع وحجج مدعاة ، ليس لها من سند علمي أو تاريخي • فهم أخذوا خير مافي آداب الشعوب التي احاطوا بها او احاطت بهم • وحولوها الى افكار تزرع اليأس في قلب الامل • والظلام في رابعة النهار ، والبغضاء محل التسامح، والعنف في مواجهة السلام ، والهدم في مواضع البنــاء والاستقرار ، لاجتثاث الحضارة الانسانية • والذي نشروه بين جمهور الناس من تقاليد ونصوص يشتمل على افكار وعقائد تسعى لاجتثاث ارومتنا واصولنا من المنطقة العربية لتجعل منا شعبا تاريخيا يرد ذكره في جملة من يذكر من الشعوب والامم التي سادت ثم انقرضت وبادت • وليشهد اجتثاثها المطلوب، وتداعيحطامها ، على تهافتنا ، هذا ان استدمنا سادرين فــي تراجعنا وانحطاطنا وتدهورنا الحضاري •

والقراءة المبكرة لمصيرنا في توراتهم واسفارهم الورقية قد تفتح ابصارنا وبصائرنا على ما يحيط بنا واقعيا ، بل على ما سيحيق بنا من دمار شامل ان ظللنا هائمين على وجوهنا كأمة من غنم حصنها مهدد من داخله وهي ساهية لاهية عنه بسعيها الحثيث لرفاهية سطحية زائلة تخفي افقارا حضاريا عميقا ٠

وايراد بعض التقاليد والنصوص التوراتية التي يؤمن بها اتباع العقيدة اليهودية ومشايعوهم يستهدف توجيه حزمة امال مستقبلية من محرق الالام والمعاناة التي تعيشها جماهيرنا منذ عشرات السنين املا بوحدة ارضها وحريتها من محتليها ومغتصبيها ومستوطنيها وبحرية انسانها العربي حتى لايعيش غريبا طريدا على ارضه وبين اهله ٠

ومن يقرأ اصحاحات سفر يشوع الاربع وعشرين ، يدرك بعض باقي النوايا اليهودية الصهيونية المبيتة ضد ارضنا ووجودنا الانساني ٠

جاء في توراة اتباع العقيدة اليهودية ان ربهم قال ليشوع : « خذ معك رجال الحرب واصعد الى عاي ٠ قددفعت الى يدك ملك عاي وشعبه ومدينته وارضه ٠ فاقتلوا كل من في المدينة ٠ كل رجل وامراة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ٠ وكانوا يفعلون اكثر من هذا ٠ فكانوا يعلقون الملوك ويقطعون فيهم ثم يحرقون المدينة فلا تبقى الا انقاضا وخرابا يبابا ٠ ومن زار القنيطرة بعد افتكاك اسرها

من نير اليهودية الصهيونية يرى بعينيه حقيقة ما قاله رب اليهودية لاتباع عقيدتها ٠

وتتابع توراتهم قائلة : « فضرب يشوع كل ارض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها ٠ لم يبق شاردا ، بل حرم كل نسمة ، كما امر الرب اله اسرائيل ٠ فضربهم يشوع من قادش برنيع الى غزة وجميع ارض جوش الى جبعون ٠ واخذ يشوع جميع اولئك الملوك وارضهم دفعة واحدة ٠ لان الرب اله اسرائيل حارب عن اسرائيل ٠

« انظر الاصحاح العاشر من سفر يشوع٠ العدد ٤٠ــ٤٣ »

وبعد أن يروي ربهم قصة اجتماع ملوك الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والحويين لمحاربة شعبه المختار ٠ يفصل هزيمة جيوش ملوك الارض ، وضرب جميع رجالهم بالسيف حتى ابادهم عن اخر رجل منهم ٠ وتضيف توراتهم قائلة :

« وهؤلاء هم ملوك الارض الذين ضربهم بنو اسرائيل وامتلكوا أرضهم في عبر الاردن نحو شروق الشمس من وادي ارنون الى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق » ٠

« انظر الاصحاح الثاني عشر من سفر يشوع ١٠ العدد ١ــ٢ »

وأطماع الصهيونية ليس لها حد ترتضيه أو تقف عنده ، حتى ولو سلمناهم باليد ما استغلق عليهم فتحه ٠ والتنازل عن ذرة تراب واحدة من تراب أرض فلسطين اثمها وعارها

ووبالها علــى المفرطين الخانعين الاذلاء واولادهم الــى يوم الدين ٠ ولكم فيما يلي من حديث رب اتباع العقيدة اليهودية ليشوع ، معالم وادلة على ما ينتظر الانسانية قريبا علــى يد اعدائها المتعصبين اللا انسانيين :

« وشاخ يشوع ، تقدم في الايام ٠ فقال له الرب انت شخت ٠ تقدمت في الايام ٠ وقد بقيت ارض كثيرة للامتلاك٠ هذه هي الارض الباقية ٠ كل دائرة الفلســـــطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو امام مصر الى تخم عقرون٠ شمالا تحسب للكنعانيــين اقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والاشدودي والاشقلوني والجتي والعقروني والعويين مــن التيمن كل الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين الى افيق الــى تخم الاموريــين ٠ وارض الجبليــين وكل لبنان نحو شــروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون « جبل الشيخ » حتى مدخــل حــماة ٠

جميع سكان الجبل من لبنان الى مسرفوت مايم ٠ وجميع مدن سيحون « بين النهرين بالعراق » ٠
« انظر الاصحاح الثالث عشر من سفر يشوع ٠ العدد ١ــ١٠ »

ويبدو أن اله اتباع العقيدة اليهودية سيظل يعد اتباعــه المختارين بما ليس له ، اولهم ، حتى يمسوا كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ٠ اللهم الا من حفر تضيق بأجداثهم ، كما ضاقت الارض على رجابها بأجسادهم ونفوسهم وسلوكهم ٠

ان خلاص الانسانية وفيهم اتباع العقيدة اليهودية يتم بتخليصهم من عقائد العرقية العنصرية اللاانسانية المبثوثةفي ارجاء تقاييدهم العقيدية كسريان السم في ناب الافعى ٠

مناهل وهوامش الفصل السادس

1 - Kenneth L. woodward et. al., «Book the Bible Leftout» News week, November 28,1977, P. 58.

2 - Yehuda Radday, Computers re-read Genesis», Time, No. 49, December 7, 1981, P. 59.

3 - NeWs week, November 28, 1977, P. 59

٤ ـ بيير روسي : مدينة ايزيس ـ التاريخ الحقيقي للعرب ـ منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق ١٩٨٠ ، ص٢١ـ٣١

٥ ـ سفر يشوع العدد ١ ـ ٢ ، ٤٠ ـ ٣.

مناهل الدراسة وروافدها

أولا ـ المطبوعات بالعربية :

١ ـ الكتاب المقدس : أي كتب العهد القديم والعهد الجديد . مترجم عن اللغة اليونانية . المطبعة الاميركانية . بيروت ١٩٠٩ .

ـ الكتاب المقدس : أي كتب العهد القديم والعهد الجديد مترجم عن اللغات العبرانية والكلدانية واليونانية . اصدار جمعية التوراة الاميركية وجمعية التوراة البريطانية والاجنبيه القاهرة ١٩٣٨ .

٢ ـ كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين

٣ ـ احمد حجازي السقا : التوراة السامرية ، دار الانصار ، القاهرة ١٩٧٨ .

٤ ـ احمد السخاوي :ملف القدس ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « اليكسو » ١٩٧٧ .

٥ ـ احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، المكتب العربي للاعلان والنشر ، دمشق ، ١٩٧٥ .

ـ احمـد سوسة : اللغة العبرية وصلتها باليهوديـة ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية : بغداد نيسان ١٩٧٧ ٠

٦ ـ اسد رستم : مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران مطابع مجلة المسرة ، حريصا ١٩٥٩ ٠

٧ ـ اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ـ حياتـه ومصنفاته ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ ٠

٨ ـ بيير روسي : مدينة ايزيس ـ التاريـخ الحقيقي للعرب ، منشورات وزارة التعليم العالي ، دمشق ١٩٨٠ ٠

٩ ـ جورج ابو سعدي : يوحنا المعمدان رفض اليهود قبل المسيح ، مجلة صدى الارز ، بيروت ١٧ / ١٩٧٠ ٠

١٠ ـ عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفـة اليهودية ، دار المسرة ، بيروت ١٩٨٠ ٠

١١ ـ عباس محمود العقاد : حياة المسـيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ، كتاب الهلال ٨٢ / ١٩٥٨ ٠

١٢ ـ عجاج نويهض : بروتوكولات حكمـاء صـهيون ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٨١ ٠

١٣ ـ علي سامي النشار وآخرون : الفكـر اليهـودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية ، منشأة المعارف بالاسكندريـة ، ١٩٧٢ ٠

١٤ ــ علي عبد الواحد وافي : بحوث في الاسلام والاجتماع ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

١٥ ــ فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

١٦ ــ لانكستر هاردنج : اثار الاردن ، المطبعة الوطنية عمان ١٩٧١ ٠

١٧ ــ ليونارد كوتريل : الموسوعة الاثرية العالمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ ٠

١٨ ــ محمود ابو الفيض المنوفي : تهافت الفلسفة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ ٠

١٩ ــ محمود نعناعة : المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ؟مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ٠

٢٠ ــ محمود العابدي : مخطوطات البحر الميت ،منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ١٩٦٧ ٠

٢١ ــ محمود العابدي : قدسنا ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٢ ٠

٢٢ ــ مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان،مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة ١٩٦٨

٢٣ ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٤ ٠

٢٤ ــ المقتطف : مجلد ١١٧ ، ج ٥ ، القاهرة ١٩٥٠ .

٢٥ ــ موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ .

٢٦ ــ نوفل نوفل : سوسنة سليمان في العقائد والاديان ، المطبعة الاميركية ، بيروت ١٩٢٢ .

٢٧ ــ موسى بن ميمون : المقدمات الخمس والعشرون من دلالة الحائرين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٤٩ م .

٢٧ ــ ول ديورانت : قصة الحضارة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢٩ ــ وليم ف . اولبرايت : اثار فلسطين ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧١ .

٣٠ ــ وليام هـ . براونلي واخرون : حول فك رموز المخطوطات الجلدية الكاريانية ، مديرية الاثار العامة في المملكه الاردنية الهاشمية ، عمان ١٩٦٦ .

٣١ ــ يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، المطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٣ .

٣٢ ــ يوسيفوس بن كربون : تاريخ يوسيفوس اليهودي ، المكتبة العمومية ، بيروت .

ثانيا ـ المطبوعات بالاجنبية بما فيها المعتمدة للصــور والرســوم التوضيحيــة :

33 -- Dupont Sommer : Les Manuscrits de la Mer Morte. L'Orient Ancien Illustré No 4, Librairie : A. Maisonneuve, Paris 1950 .

34 -- Edmund wilson : THE DEAD SEA SCROLLS 1947 - 1969, w. H. ALLEN , LONDON 1969 .

35 --Frank Moore Cross : Scrolls frome the wilderness of the Dead Sea, San Fransisco. California 1969.

36 -- Jean Negenman : Univers de la Bible .

37 -- Kenneth L - wood ward : Book the Bible Loftout. News week, 28, 1977.

38 -- Kenoeth Maclish : Reunited Jerusalem façes-its problems, National Geographic, 134, No. 6 , 1968.

39 -- L. H. Grollenberg, Shorter Atlas of the Bible.

40 --Meanhem Mansour : The Dead Sea Scrolls , Leiden E. .J Brill, 1964 .

41 --Merrill C. Tenney : The Zondervan pictorial Bible Dictionary.

42 -- Powell Davies : The Meaning of The Dead Sea Scrolls the New English Library , London 1956.

43 -- Theodor H. Gaster : The Dead Sea Scriptures, New York 1964 .

44 -- Yehoda Raddy : Computèrs re - rèad Gènèsis, Time, No. 49 , 1981 .

المحتوى





أكثر من ثلاثة آلاف دراسة وضعت حول هذه المخطوطات واللفائف التي وجدت عرضاً في الكهوف والمغاور عند الشواطى الشمالية الغربية للبحر الميت في فلسطين ،ونشرت باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها .

فما قصة هذه المخطوطات ؟ وما أهميتها ؟ وماحقيقة تلك الفرقة اليهودية المنشقة التي كتبتها ؟ وماهي أوجه التقارب بينها وبين تعاليم السيد المسيح ؟ ثم كيف سرقت بعد اكتشافها وهربت، ومن هم المتواطئون على ذلك ؟وأخيراً، كيف يتم استغلالها اليوم من قبل الصهاينة بقصد تشويه الحقائق التاريخية وتزييفها خدمة لمطامعهم في الأرض العربية ؟.. يجيب هذا الكتاب على هذه الأسئلة ، ويضيف، فيعرض مفصلا للتوراة الهيروغليفية والسبعينية والسامرية وغيرها ، وللتلمودين الأورشليمي والبابلي ، وللأسفار الخفية (الأبوكريفا) ، وللفرق اليهودية المختلفة بعقائدهاوطقوسها.

دار منارات للنشر